ورقة بن نوفل

مبشر الرسول ﷺ

عصره - حياته - شعره



جمع وتحقيق وشرح ودراسة

غسان عزيز حسين

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



جمع وتحقيق وشرح ودراسة
غسان عزيز حسين

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P.: 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3692-5



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

الإهـــداء

إلى والديَّ وولدي شدوان

وكلّ الباحثين عـن الحقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

منذُ زمنٍ بعيدٍ ؛ يعودُ إلى أيّام دراستي الجامعيَّة ، وأنا أتساءلُ عن حقيقةِ الأدبِ الجاهليِّ ؛ شعراً كان أم نثراً ، وأقف حائراً في تبنّـي وِجهةِ نظرخاصَّة بعد اطّلاعـي على رأيِّ د.طـه حسين الّذي يشكّك في مصداقيته ، ويرى أنَّه منحول وموضـوع في أغلبه . وَضَعَهُ مجموعة من الرُّواة ممَّن تأخذهم الأهواء والتبعيَّة .

إلاَّ أنّني ما زلْتُ متحمِّساً للخوض في خضمِّ هذا الأدب ، والغوص في لـجَّته ، للوصول إلى مطامير ثرواته الدَّفينة ، والتَّعايش معها بحرفيَّتهـا وجزئياتهـا وإخراجهـا إلى الوجود موروثاً حقيقيًّا ، بأسلوبٍ علميٍّ جاد .

وكان لي شرف الاهتداء إلى شخصيَّة « ورقة بن نوفـل » الشـاعر الحكيـم بتوجيهٍ من أستاذي د. أميل يعقوب الّـذي أكّـد لـي أنّـه شـاعر مقـلٌّ ، لكـن لم يتحدَّث أحد من الباحثين عنه حتّى الآن . وقال : ليكن الموضوع « شعر ورقة بـن نوفل » جمعاً وتحقيقاً وشرحاً ودراسةً .

وفي الوقت عينه أشار مشـكوراً إلى الصُّعوبـات الـتي يمكـن أنْ تعـترضني ماديًّـا وزمنيًّا إذا ما كان شعر « ورقة بن نوفل » موضوع رسالتي .

هذا الحوارُ أغراني فأقدمْتُ على تسجيل هذا الموضـوع ، فـاتَّجهْتُ إلى مكتبـة التَّاريخ القديم أعبُّ من أمَّهات الكتب ما استطعت الوصول إليه خاصَّة في مكتبتَـيْ د. إميل يعقوب و د. واضح الصَّمد المشرف على الرِّسالة .

ولا أنكر أنّني قد اصطدمْتُ في ماهيّة هذه الشخصيَّة المحيّرة . والتي يعود تاريخ وجودها إلى معاصرة النّبيِّ محمَّد بن عبد اللَّه ﷺ كما لا أنكر ما اعترضني من أفكار وآراء حولها .

فبعضهم يقول : إنَّ «ورقة» هذا هو الّذي بشَّر «محمَّداً» بالنُّبوَّة ، لكنّه لم يُسلم أو يُعترف بإسلامه .

وبعضهم يراه الحكيمَ والمعلّم الأوَّل لـ «محمَّد» ، وبعضهم الآخر يراه هرطوقاً من هراطقة النَّصارى الّذين شذّوا عن مقررات « مجمع أورشليم » ، وكوَّنوا فيما بينهم شيعة نصرانيَّة خاصَّة تدعى « الشِّيعة الأبيونيَّة » تعتمد في اعتقادها على نفي بنوَّة «عيسى» للّه ، واعتباره نبيًّا كـ «موسى» ، ونفي الألوهيَّة عنه والتّأكيد على أنّه بشر مات ولم يقم من موته .

وبعضهم يعتقد أنّه قد اطّلع على الأديان كافّة في زمانه ، لكنّه التزم في نهاية حياته بـ«حركة الحنفاء» وكان علماً من أعلامها .

وللإحاطة بالموضوع من جوانبه المختلفة عمدْتُ على تقسيم البحث إلى بابين في كلِّ باب ثلاثة فصول موزَّعة كما يلي :

الباب الأول : الحياة الاجتماعية والفكرية لمجتمع الجاهلية ، وقد بدأته بالحديث عن الجاهلية وتعريفها وتباين وجهات النظر في ذلك معتمداً على ما أورده بعض الباحثين من آراء ، وعلى ما دار في الشعر الجاهلي ؛ وفي القرآن الكريم من معانٍ حولها ، ثم تحدثتُ عن المجتمع الجاهلي ، والحياة الاقتصادية ، وتواصله مع العالم عن طريق الطرق التجارية التي أتاحت للعرب الاحتكاك بالأمم الأخرى .

وبينتُ كيف أدى هذا التّطور في نهاية القرن السادس الميلادي إلى بداية تفكك النظام القبلي البدائي ، وأشرتُ إلى التمايز الطبقي ، وخاصة في المناطق المستقرة وغير المستقرة التي اعتمدت في معيشتها على الزراعة والتجارة .

وعرضتُ في هذه الدراسة للديانات التي دان بها العرب قبل الإسلام كعبادتهم الأصنام والأوثان ، وعبادة النجوم ، وما انتقل إليهم من معتقدات الصابئة وبقايا

الكلدانيين ، كتقديسهم النار ، والتي كانوا يوقدونها عند أحلافهم ، واستمطارهم، أو عند تقديم القرابين لها .

وشرحتُ بشيء من التفصيل شعائرهم وطقوسهم التي كانوا يمارسونها في عبادتهم ، واختلاف تلك الشعائر بين القبائل ، وقد برز ذلك التباين في شعائر الحج ، وما رافق ذلك من مناسك خاصة بكل قبيلة .

وتحدثتُ عن العادات الاجتماعية ، والأساطير التي كانت تضاف إلى معتقداتهم والتي تشكل هي الأخرى الكثير من أسباب الاختلاف بين القبائل .

ثم فصلت ما كان عند العرب من ديانات دعت إلى التوحيد ، وتحدثتُ بإسهاب عن أهم معتقداتها « كالحنيفية ، والصابئة ، ثم اليهودية ، والمسيحية » .

الفصل الثاني : وفيه درست شخصية « **ورقة بن نوفل** » ، وفصلتُ في نسبه، وتعلمه اللسان العبراني ، واطلاعه على ثقافات شتى ساهمت ، في تكوينه ، وتوجيه سلوكه هذه الوجهة التي كانت تحاول البحث عن الحقيقة ، وبخاصة عندما ساح في الأرض باحثاً عن دين « **إبراهيم الخليل** » .

الفصل الثالث : الروابط الاجتماعية التي تربط «ورقة» بالرسول ﷺ وفيه : تحدثتُ عن علاقته بالنبي «محمد» ﷺ ، وعن قرابته بـ «خديجة» زوج النبي لذلك من أهمية في فهم البنى الفكرية والثقافية والعقائدية التي صدر عنها شعر «ورقة» .

الباب الثاني : ورقة بن نوفل الشّاعر الوجداني ، ويضم :

الفصل الأول : ورقة والأدب الجاهلي ، وفيه : درست شعر «ورقة» وصحته ومناسبات قصائده ، وبينتُ أغراضه .

الفصل الثاني : الخصائص الفنية لشعر «ورقة» ، وفيه : تحدثتُ عن الأسلوب اللغوي ، وعن التراكيب والجمل ، ثم عرضتُ للصنعة في شعر «ورقة» كما توقفتُ عند الصورة الشعرية لديه ؛ ودرستُ الموسيقى والقافية والروي ، والموسيقى الداخلية التي برع في استخدامها ، وأحسن توظيفها .

القسم الثاني من البحث : ويتضمن « ديوان ورقة بن نوفل » : **قمتُ** بتحقيقه وشرحه كما يلي :

* جمعتُ شعر «ورقة» المنثور في بطون الكتب والمصادر القديمة ، وأشرتُ إلى هذه المصادر عند التخريج .

* صححتُ ما وقع فيه من الغلط والتصحيف ، والغلط في الشكل ، مستعيناً بكتب الأدب ، ومصادر اللغة ، لا سيّما لسان العرب لابن منظور الإفريقي .

* خرجتُ الأشعار الواردة في هذا الديوان من بطون الكتب ، ومجموعات الشعر القديم ، وكتب السير المختلفة .

* شرحتُ الألفاظ الغريبة في الأشعار ، والأخبار الواردة في الكتاب ، مع شرح معاني الشعر التي قدرنا أنها تحتاج إلى شرح بالعودة إلى المعاجم ، ومصادر اللغة .

وفي النهاية لا أقول : إن هذا العمل قد سار بيسر وسهولة ، فقد اعترضتني صعوبات كثيرة ، أثناء البحث عن مصادر الشعر والترجمة الحقيقية لشخصية «ورقة» والآثار التي تركها على الصعيدين الثقافي والديني ، ولكنني تمكنتُ بالتعاون مع الدكتور الباحث **محمد نبيل طريفي** الذي أفادني بتوجيهاته العلمية والمنهجية من تذليل بعضها .

وأيضاً لا أنكر ما قدّم لي الأستاذ **محمد عبد الكريم مسعود** من مساعدات خاصة في تأمين المصادر النادرة ، وما قدمه الدكتور **منيف حسون** من مساعدات مادية ومعنوية وهؤلاء بالإضافة إلى مجموعة من الأخوة والأصدقاء الذين أفادوني بنصائحهم كان لهم الفضل في التغلب على الصعوبات كافة .

كما لا أدعي أنني وصلتُ إلى حقيقة شاعرنا من حيث «ترجمته» أو «شعره» ، وإنما استطعتُ فقط أن أزيح صخرة التاريخ المجهول بعض الشيء عنه .

وفي النهاية : أرجو أن أكون قد وفقتُ فيما ذهبتُ إليه ، ليكون لبنةً متواضعة في بنيان الأدب العربي ، وإضاءة في ظلمات التاريخ التي يجب أن تنار بأفكار الباحثين الجادّين ، والعلماء الهادفين إلى إعلاء كلمة الحقّ ، وتقدّم المجتمع ، وإهداء

الحضارة للعالم أجمع .

أرجو من السادة الباحثين الذين سيأتون بعدي على هذا الموضوع ، المتابعة العلمية الحقيقية علّهم يصلون إلى ما لم أتوصل إليه .

وختاماً أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور **واضح الصمد** الذي لم يدخر جهداً في تصحيح ما اعوج من عملي ، وإلى الأستاذين المناقشين الدكتور **إميل يعقوب** والدكتور **محمد توفيق أبو علي** اللذين تجشما عناء قراءة البحث وتقديم التوجيهات العلمية والأدبية في حينها .

وللدكتور **محمد نبيل طريفي** الذي رافقني في رحلتي التحقيقية مع الدكتور **إميل يعقوب** منذ اللحظة الأولى حتى المناقشة . وللأستاذ **محمد عبد الكريم مسعود** ووالده الأستاذ **عبد الكريم مسعود** . وأخي الأستاذ **عدنان حسين** الذين أصروا على مرافقتي إلى مدينة طرابلس لحضور مناقشة الرسالة .

وللحقيقة أقول : إنْ أصبتُ في بحثي فالفضلُ يعودُ إلى الأستاذ المشرف والأصدقاء الذين تحدثتُ عنهم ، وإنْ أخطاتُ فحسبي أنني حاولتُ أن أقدم شيئاً إلى المكتبة العربية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

غسان عزيز حسين

الباب الأول

ورقة بن نوفل في المجتمع الجاهلي
وجدلية التأثير المتبادل بينهما

الفصل الأول : الحياة الاجتماعية والفكرية لمجتمع الجاهلية

الفصل الثاني : ترجمة ورقة بن نوفل

الفصل الثالث : الروابط الاجتماعية التي تربط ورقة بالرسول ﷺ

الباب الثاني

ورقة بن نوفل الشاعر الوجداني

الفصل الأول : ورقة والأدب الجاهلي

الفصل الثاني : الخصائص الفنية لشعر ورقة

القسم الثاني : ديوان ورقة بن نوفل


http://kotob.has.it

الباب الأول

ورقة بن نوفل

في المجتمع الجاهلي

وجدلية التأثير المتبادل بينهما


http://kotob.has.it

الفصل الأول

الحياة الاجتماعية والفكرية للمجتمع الجاهلي

أولاً : الجاهلية زمنها ومعناها :

أ ـ تحديد العصر الجاهلي :

قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل الأزمنة والحقب التي سبقت الإسلام[1] ، وبالتالي يدل على جميع الأطوار التاريخية التي مرّت بها الجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده .

لكن الباحثين في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن الجاهلي هذا الاتساع ، إذْ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف أو قرنين من البعثة المحمدية ، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية ، وهي الحقبة التي تكاملت للغة العربية خصائصها العامة ، والتي جاء عنها الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا .

ولعل الجاحظ كان أول ـ على حدِّ علمنا ـ من ذكر ذلك بوضوح في كتابه الحيوان تحت عنوان : تاريخ الشعر قبل الإسلام .

يقول الجاحظ[2] : « وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له ـ إلى أن جاء اللّه بالإسلام ـ خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتين عام » .

---

(1) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف المصرية ، الطبعة السابعة ص38 .

(2) الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي ، مكتبة النوري بدمشق ص54 .

ومن أجل هذا نقف في العصر الجاهلي عند الفترة المحددة عند الجاحظ ، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى ، وهو يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية[1] .

ب ـ معنى الجاهلية :

الجاهلية : الزمان الذي كثر فيه الجهال ، يقول ابن خالويه : إن هذا الاسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل بعثة الرسول ﷺ[2] .

ولقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن في أربعة مواضع من قوله تعالى :

1 ـ « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية »[3] .

2 ـ « أفحكم الجاهلية يبغون »[4] .

3 ـ « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »[5] .

4 ـ « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية »[6] .

وإذا بحثنا عن المقصود بهذه اللفظة نجد أن المقصود بها ، ما كان قبل مجيء الإسلام . ففي تفسير الآية الأولى « آل عمران » ، يقول الطبري : « ظن الجاهلية» من أهل الشرك بالله ، شكاً في أمر الله ، وتكذيباً لنبيه ﷺ ، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه ، ومعمل عليه أهل الكفر به .

---

(1) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ص39 .

(2) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، السيد محمود شكري الألوسي البغدادي . عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لاط ، لات ، 16/1 .

(3) سورة آل عمران : 154/3 .

(4) سورة المائدة : 50/5 .

(5) سورة الأحزاب : 33/33 .

(6) سورة الفتح : 26/48 .

ويقول الطبري في الثانية « المائدة » ، « حكم الجاهلية يبغون » ، يعني أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك ، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم ، وأنه الحق الذي لا يجوز خلافه .

وفي الآية الثالثة « تبرج الجاهلية الأولى » . يتعرض لبيان المقصود بالجاهلية الأولى ، ويذكر فيها أقوالاً كثيرة ؛ منها أنها الزمن بين آدم ونوح ... ومنها أنها ما بين موسى وعيسى ، ومنها أنها ما بين عيسى ومحمد ﷺ .

وفي الآية الرابعة : « ... الحمية حمية الجاهلية » يقول : حمية الجاهلية حين جعل سهيل بن عمرو في قلبه الحمية فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين رسول الله ﷺ والمشركين : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، وأن يكتب له : محمد رسول الله ، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله ﷺ مكة عامة ، ذلك : وقال : حمية الجاهلية ، لأن الذي فعلوه من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر، ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به ، ولا أحد من رسله[1] .

ولفظ الجاهلية - كما يقول علي الجندي - قد يكون اسماً للحال ، وهو الغالب في الكتاب والسنة والأقوال المأثورة ، أما في الكتاب الكريم فقد أوردنا الآيات القرآنية ، أما في السنة ، منها قوله ﷺ لأبي ذر الغفاري حين عيّر رجلاً بأمه : « إنك امرؤ فيك جاهلية »[2] .

وقول عائشة رضي اللّه عنها : « كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء » . وقولهم : « يا رسول اللّه كنّا في جاهلية وشرّ » .

كل هذه الأقوال السابقة المقصود بها ، حال جاهلية ، أو طريقة جاهلية ، أو عادة جاهلية ، ونحو ذلك ، وإن كانت في الأصل صفة ، فقد غلب عليها الاستعمال حتى صارت اسماً .

---

(1) انظر أيضاً تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، توزيع مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، لاط ، 1965 م ، 12/1 .

(2) فجر الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لا ط ، 1969 م ، ص69 .

وقد تكون لفظ الجاهلية اسماً لذي الحال ، أي : صفة ، كقولك : طائفة جاهلية، وشاعر جاهلي[1] .

والجاهلية ، من حيث الاشتقاق اللغوي ، مصدر صناعي ، مأخوذ من «الجاهلي» نسبة إلى «الجاهل» المشتق من «الجهل» ، والجهل في اللغة : نقيض العلم .

ويقول الألوسي في نهاية الأرب : هو عدم العلم ، أو عدم اتباع العلم .... فمن قال خلاف الحقّ ، عالماً بالحق أو غير عالم ، فهو جاهل ، ويقول : قال أصحاب النبي محمد ﷺ : كل من عمل سوءاً فهو جاهل ، وإن علم أنه مخالف للحقّ .

وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل ، فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه ، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه ، وتلك أحوالٌ تناقض حقيقة العلم ، فتصير جهلاً بهذا الاعتبار[2] .

وعلى ذلك : « فالناس قبل مبعث النبي ﷺ كانوا في حال جاهلية ، جهلاً منسوباً إلى الجاهل ، فإنّ ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل »[3] .

ويستدل الألوسي على ذلك بما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « إذا سرّك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ، قد ضلّوا وما كانوا مهتدين »[4] .

---

(1) بلوغ الأرب 16/1 .

(2) المصدر نفسه 16/1 .

(3) بلوغ الأرب 17/1 .

(4) المصدر نفسه 17/1 .

فالعرب قبل الإسلام على هذا كانوا جاهليين : في زمن جاهلي ، وهم كانوا جاهلين ، أي : غير عالمين ، أو غير متبعين ما يقتضيه العلم .

وهل كان العرب قبل الإسلام حقاً كذلك ؟ إن هذا الرأي يفسر الجهل بما يناقض العلم ، ويفسر الجاهل بغير العالم ، أو بمن يفعل فعل غير العالم ، ومقتضى هذا أن العرب قبل الإسلام لم يكن لديهم علم البتة ، أو كان لديهم علم ولكن سلوكهم كان على غير مقتضاه .

والظاهر أن الاحتمال الثاني هو الأقرب للصواب ، بل هو الصواب بعينه ، فلم يكن العرب في ذلك جاهليين جهلاً مطبقاً ، لم يكونوا جاهلين جهلاً ينافي العلم ، فقد ثبت أنهم كانوا أهل ذكاء ودراية وخبرة ، وكانت لهم نظرات صادقة في الطبيعة وأحوال الإنسان بما لا يقلّ عن بعض نظرات الفلاسفة والباحثين والمفكرين .

وإذا كان للأمم الغابرة من أصحاب الحضارات القديمة كتبهم المدونة في الدين والأخلاق والأدب والفلسفة وغيرها من زُبَد الفكر يقرؤنها ويتأدبون بها ويتثقفون، ولم يكن للجاهليين شيء من أمثال هذه الكتب[1] .

ولكن كان لديهم هذا الشعر ، وكانوا يروونه ويتأدبون به ، وهكذا كان الجاهليون في قصائد شعرائهم يجدون المتعة الفنية ومادة الثقافة بما تضمنت من ذكر المآثر والمفاخر والمشاعر الإنسانية في مواقف الإنسان الجاهلي المختلفة في الحياة .

وهذا ما يجعلنا نقول : إن الشعر الجاهلي هو مادة الفن والتربية والثقافة في وقت واحد لأجيال الجاهليين ، وهذا معنى قول سيدنا عمر بن الخطاب : « كان الشعر علم قوم ، لم يكن لهم علم أصح منه »[2] .

---

(1) الشعر الجاهلي وقضايا الشعر المجتمع القديم ، مقالة بقلم محمد نبيل طريفي ، مجلة التراث العربي بدمشق .

(2) طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، لاط ، 1974 م ، ص24 .

هذا بالإضافة إلى أسلوب القرآن الراقي ، والذي يمثل أرقى درجات الفصاحة ، وأقوى مراتب البيان – فهمهم له وتمثله – يدل على ما كان لهم من تقدم ورسوخ في ميادين البلاغة وروعة التعبير ، فقد كانوا يفهمونه ويدركون مقاصده ، وأكثروا من الجدل والمناقشة حوله[1] .

أضف إلى ذلك آثارهم العظيمة التي يتحدث عنها التاريخ من بناء مدن وقصور فخمة ، ومبانٍ شاهقة ، وأعمال هندسية فنية ، ونظم في السياسة والتجارة والحروب .. كل ذلك يدلُّ على تفكير عقلي سليم ، وإدراك قوي صحيح .

هذا ينفي عن العرب قبل الإسلام الجهل الذي ينافي العلم على الإطلاق ، اللهم إلا إذا خصصنا هذا الجهل بناحية معينة ، وهي الناحية الدينية ، ففي تلك الحالة يكون وصف العرب قبل الإسلام بالجهل الديني وصفاً معقولاً ، مطابقاً للواقع .

وإلى هذا يذهب حتّي في كتابه تاريخ العرب ، فيقول : « فالجاهلية بالمعنى الصحيح هي ذلك العصر الذي لم يكن لبلاد العرب فيه ناموس وازعٌ ، ولا نبيّ ملهم ، ولا كتاب منزل »[2] .

وأما قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل هنا يقصد به السّفه والحمق والتهور وعدم ضبط النفس ، وفقدان سيطرة العقل .

ثانياً : التّطوُّر الاجتماعي في المجتمع الجاهليِّ :

إنَّ عرب شبه الجزيرة العربيَّة في الجاهليَّة لم يكونوا بعزلة عن العالم الخارجيِّ . فقد كان لموقع موطنهم الجغرافي وسط العالم المتحضِّر في العصور القديمة

(1) تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ص15 .

(2) تاريخ العرب ، فيليب حتّي ورفاقه ، دار غندور ، بيروت ، ط5 ، 1974 م ، ص128 .

والوسطى فضل في إبعاد هذه العزلة عنهم إذ جعل من شبه الجزيرة العربية جسراً عالمياً للتّجارة وتبادل شعوب الغرب والشّرق وشعوب آسية وإفريقية مختلف المنتجات الطبيعيّة والصناعيّة وتبادل التأثير والتأثُّر اجتماعيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا .

وبفضل الطُّرق التجاريَّة الكبرى التي تخترق الجزيرة من طرفها الجنوبيِّ إلى الشَّماليِّ وبالعكس ، تهيَّأتْ أسباب الاتّصال الماديِّ والمعنويِّ عند العرب وغيرهم من الأقوام والشُّعوب والدُّول خارج بلادهم .

وقد فتح هذا الاتّصال مجالاً لنشأة ظروف موضوعيَّة أدَّت في نهاية القرن السَّادس الميلاديِّ إلى تفكُّك النّظام القَبَلِيِّ البدائيِّ بخصائصه المميَّزة في بلاد العرب أيَّام الجاهليَّة وإلى ظهور طلائع متنوِّعة الأشكال لحلول تركيب اجتماعيٍّ متطوِّر بالقياس إلى التَّركيب البدويِّ الّذي أخذ يهتزُّ ويتضعضع بتأثير ما كان يبرز في مناطق البادية ـ كما في المناطق الزراعيَّة المستقرَّة وشبه المستقرة وفي المدن بالأخصِّ ـ من التّمايز والتّفاوت .

وقد مهَّدتْ لنشأة انقسام اجتماعيٍّ على أساس جديد سيتطوَّر إلى انقسام طبقيٍّ، بين أغنياء القبيلة وفقرائها ، ثم بَيْنَ مالكيِّ وسائل الإنتاج وغير المالكين .

لم يبلغ هذا الشّكل من التّطور الاجتماعيِّ مبلغَ النُّضج الّذي يسمح بنشوء الدَّولة في مجتمع عرب الجاهليِّة ، غير أنّه أوجد البذرة الأولى للدَّولة في مجتمع مكّة الذي كان آنذاك أعلى تطوُّراً من المجتمعات العربيَّة في سائر مناطق الجزيرة ، بفضل تمركز التّجارة والأموال التجاريَّة في مكّة . ووضوح ملامح الملكيَّة الخاصَّة هناك ، وبفضل ما أدَّى إليه ذلك من تجمُّع زعامة قريش الغنيَّة للحفاظ على مصالحها ، ولتنظيم علاقاتها مع الفئات الأخرى من سكّان مكّة وسكّان الجزيرة بعامَّة .

من هنا .... نشأ التّنظيم السياسيُّ الأوّل ، الّذي ظهر في الشّكل المعروف تاريخيًّا باسم « دار النّدوة » الّتي شبَّهها المؤرِّخون الغربيُّون بمجلس شيوخ أثينا الّذين كانوا

يجتمعون في المجلس ekklesia للنّظر في الأمور[1] .

ثالثاً : التّطور الفكريُّ في المجتمع الجاهليِّ :

ذلك التّطور الاجتماعيُّ ، كان ينعكس بوضوح في مختلف الظّاهرات الثّقافيَّة الّتي كان ممكناً أنْ يتمتّع بها مجتمع يعيش في تلك الظُّروف التّاريخيَّة .

لكنَّ هذه الظّاهرات كانت متفاوتة في مدى تطوُّرها ومدى انعكاس الواقع الاجتماعيِّ فيها : ويمكن أن نعرض للخطوط العربية التّالية :

1 ـ كان الشِّعر واللُّغة أكثر تطوراً من سائر الظّاهرات الثّقافيَّة في الجاهليَّة ، وهذا ما أتاح لنا استنتاج كون الشّعر واللّغة أعمق ارتباطاً بتاريخ الجزيرة القديم الّذي كان يتمتّع بمستوًى عالٍ من التّطور النسبيِّ بدليل ما كان في جنوب الجزيرة بالأخصِّ ولا سيَّما اليمن ، من دول معروفة تاريخيًّا بتطورها الحضاريِّ « سَبَأ ـ مَعِيْن ـــ حِمْير » ، ويرقى تاريخها إلى ما قبل الميلاد .

وقد حدث انقطاعٌ تاريخيٌّ بين ذلك الماضي القديم وبين جاهليَّة القرن السَّادس للميلاد ، لأسباب لم يكشفْ عنها بعدُ علمُ التّاريخ كشفاً يركنُ إليه الباحثون .

2 ـ تنحصر المعارف الجاهليَّة بحصيلة متفرِّقة غير منتظمة من التّجارب الحسِّيَّة المباشرة ، والمحاكمات الفكريَّة البسيطة خلال التّعامل اليوميِّ الحيِّ مع أشياء الطّبيعة والظّاهرات الكونيَّة المكشوفة لديهم والمؤثّرة في حياتهم اليوميَّة ، وخلال مجرى العلاقات الاجتماعيَّة المعنيَّة ، وما تخلقه هذه العلاقات من نوعيَّة محدَّدة للعادات والتّقاليد والأشكال الحقوقيَّة العفويَّة الّتي كانت تقوم عندهم مقام القوانين في المجتمعات الحضاريَّة .

3 ـ كانت الظّاهرات الدِّينيَّة أشدَّ ظاهرات الوعيِّ ، في الجاهليَّة ، تأثُّراً بعمليَّة

---

(1) انظر المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1978 م ، نقلاً عن Wottp .

النّشاط البشريِّ المادي ، فحين كان النِّظام البدائيُّ القَبليُّ لا يزال سائداً حياة الجاهليِّين ، ولا يزال يقسم مجتمعاتهم القَبليَّة على أساس مِنْ رابطةِ الدَّم والنّسب بأضيق حدودها ، كانت الوثنيَّة وحدَها هي ديانتهم السَّائدة . ذلك لأنّها تمثّل في وعيهم صورة عالمهم القَبليِّ نفسه .

لكنْ ، حين بدا مجتمع الجاهليَّة يتمخّض ، قبل الإسلام ، بتحوُّلات تؤدِّي إلى تغيير في تركيبه الاجتماعيِّ ، وفي اتّجاه علاقاته الاجتماعيَّة نحو الانقسام على أساس جديد يمهِّد للأساس الطَّبقيِّ ، أخذت الظَّاهرات الدِّينيَّة تتأثّر بهذا التّمخُّض الاجتماعيِّ فرأينا الوِجْهة « التّوحيديَّة » تبرز في هذه الظَّاهرات .

برزت أولاً في التّوحيد اليهوديِّ . وثانياً في التّوحيد بمفهومه المسيحيِّ . ثم ظهر في نهايات عهد الجاهليَّة شكل دينيٌّ جديد لا يأخذ بمفهوم التّوحيد اليهوديِّ ولا المسيحيِّ ، بل بالمفهوم الّذي سيصبح مفهوم « التّوحيد الإسلاميِّ » وهذا هو دينُ الحنفاء .

هذا كان التّعبير النّاضج ، على صعيد الوعي الدِّينيِّ ، عن اتّجاه المجتمع العربيِّ الجاهليِّ نحو الصِّراع مع نظامه القَبليِّ البدائيِّ التّعدديِّ[1] .

في خضمِّ هذا المجتمع الفَتِيِّ المتسلِّقِ أسوارَ التّطور الاجتماعيِّ والفكريِّ ولد ورقة بن نوفل ونشأ على حبِّ الاطِّلاع والسَّعيِ وراء المعرفة بعد اطِّلاعه على الأفكار الدينيِّة التي كانت سائدة في مجتمعه وعصره ، من يهوديَّة ومسيحيَّة وصابئة ووثنيَّة .

في النِّهاية رفضها ليلتزم بالحركة « الحنيفيَّة » وساح في بلاد الشَّام وفلسطين باحثاً عن دين إبراهيم الخليل مع نديمه زيد بن عمرو بن نفيل ، ثم يعود إلى مكّة تاركاً وراءه نديمه الّذي يموت أثناء تفكيره بالعودة غِيلةً ويرثيهِ بأبياتٍ رائعةٍ ... سنراها في الباب الثّاني من هذه الرسالة .

---

(1) انظر النزعات الماديَّة في الفلسفة العربية الإسلاميَّة ، حسين مروه ، دار الفارابي ، بيروت ، ط6 ، 1988 م ، 323/1 وما بعدها .

رابعاً : أديان الجزيرة العربيَّة في العصر الجاهليِّ :

عرف المجتمع العربيُّ في الجزيرة ألواناً شتَّى من الأفكار والممارسات الدينيَّة ، كاليهوديَّة ، والنصرانيَّة والحنيفيَّة ، والوثنيَّة والصابئة ، نحاول الحديث عنها بقليل من الإيجاز :

* **بين اليهوديَّة والنَّصرانيَّة** : إذا كانت ديانة إبراهيم عليه السَّلام ، قد انتشرت بين العرب ، فقد ظلَّت الكعبة التي أرسى قواعدها هو وابنه إسماعيل ، تذكِّرهم باللّه الكبير ، فإنَّ ديانتين أخريين كانتا تتسربان إلى الجزيرة العربيَّة ، وتدعوان أيضاً إلى إلهٍ كبيرٍ ، هما « اليهوديَّة والنَّصرانيَّة »[1] .

فأمَّا اليهوديَّة[2] فقد انتشرت في الحجاز ، وصار اليهود قبائلَ وعشائرَ وبطوناً . ولعلَّ أهمَّ قبائلهم بنو النُّضيْر ، وبنو قريظة ، وبنو ثعلبة ، وبنو زريق ، وبنو حارثة[3] .

وقد أشارت روايات أهل الأخبار إلى دخول قسم من العرب في اليهوديَّة ، فقد

---

(1) الوثنية في الأدب الجاهلي ، عبد الغني زيتوني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط1 ، 1987م ، ص177 .

(2) يُعتقد أنَّ ابتداء اليهوديَّة في الحجاز ووادي القرى وخيبر وإيماء ويثرب ، إنَّما كان في أيَّام «بختنصر» البابليِّ، حوالي سنة 598 ق.م الذي أتى إلى فلسطين ، واستولى عليها وخرَّب هيكلها ، ويبدو أنَّ هجرات اليهود إلى هذه المناطق كانت في أوقات مختلفة . حيث ورد أنَّ اليهود هاجروا أيضاً إلى أطراف يثرب ، وأعالي الحجاز فراراً من الرُّوم الَّذين سيطروا على الشَّام وفتكوا بالعبرانيين فتكاً ذريعاً وذلك ما بين عامي 70 - 135 م .

انظر المفصَّل في تاريخ العرب 517/6 وما بعدها ، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام . أحمد أرحيم هبو . جامعة حلب ، كلية الآداب ، لا ط ، 1980م ، ص410 .

(3) السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام ، تحقيق مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، إعداد مكتب تحقيق التراث ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، البابي الحلبي ، مصر ، ط1 ، 1955م ، 514/1 .

تهوَّد قوم من الأوس والخزرج لمجاورتهم يهود خيبر ، قريظة والنُّضيْر ، وتهوَّد قوم من بني الحارث بن كعب ، وقوم من غسَّان ، وقوم من جذام[1] .

ويلاحظ أنَّه لم يرد شيء عن تهوُّد أفراد من القبائل الَّتي تسكن مكَّة وما حولها[2] .

ويبدو أنَّ تأثير اليهود في شمال الجزيرة العربيَّة ظلَّ في حدود ضيِّقة ، فعلى الرَّغم من أنَّ اليهود كانوا يعتقدون في إله واحد هو «يَهْوَه» إلاّ أنَّهم كانوا يعدُّونه إلهاً قوميًّا خاصًّا بإسرائيل وقبائلها[3] .

ويذهب « خليل عبد الكريم » إلى أنَّ انتشار اليهوديَّة ، لم يكن إلاَّ في حدود ضيِّقة جدًّا ، تمركزت في منطقة الحجاز على وجه التَّخصيص . وذلك لكونها ديانة غير تبشيريَّة ، ومغلقة على أهلها الَّذين يزعمون أنَّ اللَّه اختصَّهم بها لأنَّهم شعبه المختار[4] .

وأما النَّصرانيَّة[5] فقد كانت أكثر انتشاراً من اليهوديَّة ، لطابَعَها التَّبشيريِّ ، فقد نصَّ على أنَّ قبائل عربيَّة عدَّة قد عرفت النَّصرانيَّة ، ودان بها أفرادها أو قسم

---

(1) تاريخ اليعقوبيِّ . اليعقوبيُّ بن واضح ، أحمد بن أبي يعقوب ، دار العراق ، بيروت ، لاط ، 1955م ، 298/1 .

(2) الوثنيَّة في الأدب الجاهليِّ ص178 .

(3) اليهود في تاريخ الحضارة الأولى ، غوستاف لوبان ، ترجمة عادل زعيتر ، البابي الحلبي ، مصر ، لاط، 1970م ، ص69 .

(4) قريش من القبيلة إلى الدَّولة المركزيَّة ، خليل عبد الكريم ، سينا للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1993 م .

(5) يفترض أنَّ النَّصرانيَّة قد دخلت إلى الجزيرة العربية ، وإلى الحجاز ، بطريق التِّجارة الَّتي كانت تقود تجارة العرب إلى بلاد الشَّام والعراق ، وتأتي ببعض التُّجار المسيحيين إلى مدن الحجاز واليمن والبحرين وكانت هناك أديرة على طرق التِّجارة يأوي إليها العرب للرَّاحة، وللتَّزود بالماء ، ومن ثَمَّ كانوا على هذه الدِّيانة . وقد وجدت هذه الأديرة أيضاً في الحجاز ونجد وفي جنوبيِّ الجزيرة العربيَّة وشرقها ، وكانت تتلقى الإعلانات من كنائس =

منهم . وأشهر هذه القبائل : بنو تغلب ، وبنو امرئ القيس ، وطيّئ ، ومذحج ، وبَهراء ، وشُلَيْح ، وتنوخ ، وغسَّان ، ولخم .

ويلاحظ أنَّ النَّصرانيَّة قد وصلت إلى مكَّة ، ووجد في قريش مَن نسب إليه التَّنصُّرُ وأبرز هؤلاء : عثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل[1] .

وفضلاً عن ذلك فقد كان بين سكَّان مكَّة عند ظهور الإسلام جماعة من النَّصارى ، كانوا من الغرباء والنَّازحين والعبيد والرَّقيق[2] .

وقد كان إله النَّصارى إله جميع البشر ، ولم يكن مختصَّاً بشعب معيَّن ، كما زعم اليهود أنَّهم شعبُ اللّه المختار . فقد قام رجال الدِّين منذ نشأة النَّصرانيَّة بالتَّبشير بها ، ونشرها بين الشُّعوب .

وبذلك تميَّزت المسيحيَّة عن اليهوديَّة الَّتي جمدت واقتصرت غالباً على بني إسرائيل[3] .

غير أنَّ آراء النَّصارى في طبيعة السَّيِّدِ المسيح ، قد اختلفت ، وانعكس ذلك على تصوُّر الإله[4] .

= العراق والشَّام والرُّوم ، حتَّى تمكَّنت من التَّبشير بين كثير من القبائل .

انظر المفصَّل في تاريخ العرب 590/6 ، وتاريخ العرب قبل الإسلام لأحمد هبو ، ص415 .

(1) تاريخ اليعقوبيّ 298/1 .

(2) المفصَّل في تاريخ العرب 604/6 .

(3) المفصَّل في تاريخ العرب 604/6 .

(4) فمثلاً : اختلف أصحاب مذهبي النَّساطرة واليعاقبة في طبيعة السَّيِّدِ المسيح ، النَّساطرة ذهبوا إلى أنَّ له طبيعتين أو «أقنومَيْن» : طبيعة الإنسان يسوع ، وطبيعة اللّه الكلمة . ورأوا أنَّ مريم هي بشر ولدت بشراً هو الإله من ناحية الأب ، اللّه ، فحسب .

وذهب اليعاقبة إلى أنَّ للسَّيِّدِ المسيح إلهيّة واحدة أو «أقنوماً» واحداً والنَّساطرة واليعاقبة مذهبان من أهمِّ المذاهب النَّصرانيَّة الَّتي انتشرت بين العرب .

انظر المفصَّل في تاريخ العرب 626/6 وما بعدها .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الاختلاف في آيات عدَّة[1] .

ويقال : إنّه كان للمذاهب النّصرانيَّة في مكَّة والمدينة وصنعاء ونجران وأكسوم، مرجعيات سياسيَّة ومذهبيَّة مركزيَّة خارجيَّة[2] .

ويقال أيضاً : « كذلك كان في الحِيْرة من سَراة النّصارى مَنْ اشتركوا مع سَراةِ قريش في الأعمال التّجارية مثل كعب بن عبيد التّنوخيّ ، فهو من سَرَاة نَصارى الحِيْرة ، وكان أبوه أُسْقفاً على المدينة ، وكان يتعاطى التجارة ، وله شركة في التّجارة في الجاهليّة مع عمر بن الخطّاب في تجارة البزّ وكان عقيداً له[3] .

ويواصل د. جواد علي أمثلته قائلاً : « ويقول اليعقوبيُّ : وأمَّا مَنْ تنصَّر مِنْ أنحاء العرب قوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى منهم : عثمان بن الحويرث ابن عبد العزى ، وورقة بن نوفل بن أسد »[4] .

وبذلك يمكن القول : إنَّ النّصرانيَّة كانت متغلغلة في مكَّة ، واخترقت بعض بطون قريش ، بل إنَّ البعض يذهب إلى أنَّ المسيحيَّة وُجدت داخل الكعبة ذاتها . وهذا الرأيُ يفتقر إلى الأدلّة الوثوقيَّة وإنْ استند إلى بعض القرائن الّتي لا ترقى إلى درجة الدَّليل .

وأيًّا كان الأمر ، فإنَّ النّصرانيَّة كان لها وجود في جوف الكعبة ، حتّى مع عدم رقيِّ تلك القرائن لدرجة الدَّليل الّذي تطمئن إليه النّفس . ذلك أنَّ محوَ صورتَيْ عيسى وأمّه مريم بأمر من محمّد الرسول « عليه الصّلاة والسلام » قد ورد

---

(1) المائدة : 17/5 ، و 73/5 . والتوبة : 30/9 .

وانظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، البابي الحلبي ، لا ط ، لا ت ، 34/2 . كما أورد ابن إسحاق هذا الاختلاف في السِّيرة النّبويَّة 575/1 .

(2) مجتمع قريش السياسي والدِّيني في عام الفيل ، عطا اللّه جوليان ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، لبنان ، ط1 ، 1987م ، ص67 .

(3) انظر المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 596/6 .

(4) انظر المرجع نفسه 590/6 .

ذكره في كتب السِّيرة[1] .

ويؤكد الأستاذ محمَّد كرد علي ، وجود صور وتماثيل لكلٍّ مِنْ عيسى وأمِّه في جوف الكعبة فيقول : « ومن جملة ما كان فيها يعني «الكعبة» صور عيسى وأمِّه عليهما السَّلام . بقيَتْ حتَّى رآهما مَنْ أسلم مِنْ نَصَارى غسَّان وكان على أحد عُمُدِ الكعبة تمثال مريم ، وفي حجرها ابنها مزوَّقاً[2] .

ومن هنا نجد أنَّ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة في الجزيرة العربية قبل الإسلام كانتا في أكثر الأحيان ، بعيدتيْن عن عقيدة التَّوحيد الَّتي أتى بها إبراهيم عليه السَّلام ، لما أصاب هاتين من التَّحريف والبُعْد عن حقيقة كلٍّ منهما .

وقد ألمح القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : « وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله ، وقالت النَّصارى المسيحُ ابن الله »[3] .

ولعلّ هذا ما دفع «نِلْسُن» إلى نفي أنْ تكون اليهوديَّة أو المسيحيَّة قد أثَّرَتا في وجود التَّوحيد عند العرب ، ففي رأيه أنَّ اليهود كان لهم إلههم الخاصُّ بهم ، ولم يكن إلهاً عالمياً ، كما أنَّ المسيحيَّة الَّتي ظلَّتْ حتَّى عصر محمَّد ﷺ لم تكن توحيديَّة بل كانت متعدِّدة الآلهة ، فيسوع «المسيح» وأمُّه كانا يقدَّسان كإلهين[4] .

إذاً : فإنَّ عقيدة التَّوحيد الَّتي وجدت عند بعض الجاهليِّين ، والَّتي جعلت اللَّه واحداً لا شريك له ولا ولد ، لم تأت عن اليهوديَّة ولا عن النَّصرانيَّة ، لعدم بقاء الوحدانيَّة في هاتين الديانتين ، ولادّعاءِ أتباع كلٍّ منْهما بوجود ابنٍ للَّهِ ، ومِنْ ثَمَّ الإشراك بألوهيته ونقض وحدانيته .

---

(1) قريش من القبيلة إلى الدَّولة المركزيَّة ص104 - 105 .

(2) الإسلام والحضارة ، محمّد كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط3 ، 1968 م ، 125/1 .

(3) التّوبة : الآية 30/9 ؛ وتفسير ابن كثير 348/2 .

(4) التَّاريخ العربي القديم ، نلسن ديتلف وآخرون ، ترجمة فؤاد حسنين علي وزكي محمد حسن ، النّهضة المصريَّة ، القاهرة ، 1958 م ، ص242 .

ولعل الأقرب إلى الاحتمال هو أن تأثير الديانتين في العرب الوثنيين ، كان في إيجاد فكرة في أن للّه أولاداً ؛ فقد رأينا أن فريقاً من العرب الجاهليين قد زعم أن للّه بنات هن الملائكة ، وهذا يشبه زعم اليهود في عزير ، والنصارى في السيد المسيح .

غير أن الفرق بين العرب وبين هؤلاء ، هو أن الجاهليين جعلوا للّه أولاداً من الإناث ؛ في حين جعل العبرانيون والمسيحيون للّه ولدين ذكرين .

وإذا كان العرب الوثنيون قد جعلوا أمهات بنات اللّه أولاد سروات الجن ، فإن اليهود لم يخرجوا أم عزير من نطاق البشر ، وكذلك ظلت مريم العذراء عند النصارى من جنس البشر أيضاً .

وعلى هذا فإن إله اليهود ، وإله المسيحيين لا يماثلان اللّه عند الجاهليين[1] .

هذا من حيث الانتشار والاعتقاد ... أما من حيث التأثير والتداول ... فيقول د. جواد علي ... « ويظهر من أدبيات بعض الإخباريين أن بعض أهل الجاهلية ، كانوا قد اطلعوا على التوراة والإنجيل ، وأنهم وقعوا على ترجمات عربية للكتابين منهم ورقة بن نوفل وأمية بن أبي الصلت »[2] .

وقد ذكر الإخباريون أيضاً : أن ورقة بن نوفل ، كان يقرأ العبرانية ، وفي رواية أخرى كان يعرف اللسان العبراني ، وهذا ثابت في أكثر من كتاب من كتب السيرة المحمدية[3] .

نستخلص من ذلك أن ورقة بن نوفل ، كان يجيد أكثر من لغة ، وبالتالي عمل بالترجمة خاصة من اللغة العبرية إلى اللغة العربية . لكننا لم نعثر على أثر واضح أو وثيقة صريحة تثبت إحدى ترجماته .

---

(1) الوثنية في الأدب الجاهلي ص180-181 .

(2) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 680/6 .

(3) قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ص94 .

1 - الحنيفية :

ظهر في الجزيرة العربية تيار ديني متميز هو «الحنيفية» وقد أطلق على معتنقيه «الحنفاء» .

و «الحنف» : هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة ، وتحنّف فلان ، أي : تحرّى طريق الاستقامة ، وسمَّت العرب كل من حج أو اختتن حنيفاً . تنبيهاً أنه على دين إبراهيم عليه السلام [1] .

ولفظة «حنف» عرفتها اللُّغات الَّتي كانت سائدة في تلك المنطقة آنذاك : «وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أنَّ اللَّفظة من أصل عبْرانيٍّ هو «تحنيوث» أو من «حنف» ومعناها «التَّحنُّث» في العربيَّة . والسُّريان يطلقون لفظة «حنيفيَّة» على «الصَّابئة» .

وقد وردت لفظة «حنف» في النُّصوص العربيَّة الجنوبيَّة بمعنى «صبّأَ» أي : مالَ وتأثَّر بشيءٍ ما . فاللَّفظة إذَنْ مِنَ الألفاظ المعروفة أيضاً عند العرب الجنوبيِّين» [2] . وتعتبر الحنيفيَّة حلقةً في مرحلة الانتقال مِنْ مرحلة ما قبل الإسلام إلى الإسلام [3] .

ولَمْ يَكُنْ تنامي حركة «الحنيفيَّة» وانتشارها ، واعتناق العديد من الحكماء والعقلاء والمتنوِّرين والشُّعراء لها قُبَيْل البعثة المحمَّدية أمراً اعتباطيًّا ، أو مستغرباً بل كانت تحتِّمه موجبات ذلك المجتمع .

فـ« منطق التَّاريخ نفسه يدعونا إلى رؤية ظاهرة الحنفاء كواقع حتميٍّ ، تقتضيه

---

(1) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، طبعة 1961 م ، مادة «حنف» .

(2) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 543/6 .

(3) المرجع نفسه 451/6 .

طبيعة التّغيُّرات الّتي كانت تحدث في مجتمع الجاهليَّة خلال القرن السَّادس الميلاديِّ على طبيعة العلاقات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة »[1] .

ويشير السَّيد « برهان الدِّين دلُّـو » إلى المتغيِّرات الّتي طالَتْ مجتمعَ ما قبل ظهور الإسلام ، والّتي أدَّتْ إلى ذيوع الحنيفيَّة قائلاً : تطورَّتْ القوى المنتجة ، وتوسَّعتْ أعمالُ الرّيِّ الاصطناعيِّ وازداد الإنتاج الزِّراعي ، وارتبط الإنتاج الصِّناعيُّ بسوق التّبادل .

ونَمَتِ المدنُ ، وتحوَّل العديد من القرى إلى حواضرَ مدنيَّةٍ . ونُظِّمت الأسواق الموسميَّة العامَّة . ونشطت التِّجارة الداخليَّة فازداد العرب تقارباً .

وأدَّى نشاط التِّجارة ، واتِّساع عمليات التّبادل في نشر التّعامل النّقديِّ داخل المجتمع القَبليِّ ممَّا سارع في تفكُّكه . وتفكَّك رابطة الدَّم والنّسب بين أبناء القبيلة .

ونما التّيقُّظ القوميُّ متمثّلاً في ظهور الأحباش في اليمن عام 575 م ، وانتصار العرب على الفرس في موقعة « ذي قار » عام 609 م .

وعلى الصَّعيد الثقافيِّ انصهرت اللّهجات ، وتوحَّدت في لهجةٍ مشتركةٍ « لهجة قريش » الّتي أصبحت لغةَ التّعبير الفنيِّ ، ولغة التعامل المشترك بين مختلف القبائل أثناء انعقاد المواسم العامَّة التِّجاريَّة والدِّينيَّة والأدبيَّة .

وقد ساعد إلى جانب المتغيِّرات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة وجود اليهوديَّة والنّصرانيَّة في تغيير الوعي الدِّينيِّ باتِّجاه النّظر التّجريديِّ نحو مشكلة الوجود متجاوزاً النّظرة الحسِّية في خلق « ظاهرة الحنفاء » ويرى أنَّ هذه الظَّاهرة كانت «بدايةَ الإرهاصِ الفعليِّ لظهورِ دعوةِ الإسلام »[2] .

---

(1) النّزعات الماديَّة في الفلسفة العربية الإسلامية ، حسين مروة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط6 ، 1988 م ، 312/1 .

(2) جزيرة العرب قبل الإسلام ، برهان الدّين دلّو ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، 1989 م ، 237/2 - 238 .

أما الباحثون المثاليون ، فيذهبون وجهة أخرى : هي أن هؤلاء الحنيفيون بما امتازوا به من رجاحة عقل وسعة أفق ، وسمو في الخلق ، وثقافة أعلى نسبياً من نظرائهم في ذلك المجتمع « أنفوا من عبادة الأصنام ، ودعوا إلى التوحيد »[1] .

ويرى بعضهم أن عرب ما قبل ظهور الإسلام ، أخذوا يفكرون في عدم جدوى الأصنام ، وعبث التعبد لها ، وأنها غير ذات نفع لهم . ويضربون على ذلك أمثلة منها :

موقف امرئ القيس الشاعر المشهور من الصنم « ذي الخلصة » عندما أراد الغارة على بني أسد آخذاً بثأر أبيه ، فخرج له قدح الناهي فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم وقال : لو كان أبوك قُتِل ما عَوَّقْتَنِي . وغزا بني أسد فظفر بهم[2] .

وموقف أعرابي من صنم آخر يقال له «سعد» ذهب إليه ومعه إبله لنوال البركة ، فنفرت الإبل وتفرقت في كل وجه . فتناول حجراً ورمى به الصنم ، وأنشد بعض أبيات من الشعر يسخر فيها من الصنم «سعد»[3] .

هذا كله كان مدعاة إلى ظهور وانتشار «الحنيفية» بحثاً عن دين جديد يكون أكثر عقلانية .

إذن : إن هذه العوامل المشار إليها بكاملها قد تفاعلت حتى نمت ، فأدت إلى تفشّي الظاهرة وذيوعها وشيوعها في أنحاء متفرقة ، خاصة في المدن أو المراكز المتحضرة ، وليس انبثاقها أو ظهورها كما انتهى إليه عدد من الباحثين .

---

(1) دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، السيد عبد العزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، لاط ، لات ، ص436 .

(2) الأصنام ، ابن الكلبي ، تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 م عن طبعة دار الكتب المصرية 1924 م ، ص47 .

(3) الفكر الديني الجاهلي ، محمد إبراهيم الفيومي ، دار المعارف ، مصر ، طبعة 1983 م ، ص452 .

إنما عندما تكاملت تلك الظروف وتعاضدت معاً بـدأت «الحنيفيـة» تقـوى وتتحول من ظاهرة خافتة الصوت إلى حركة لها وجـود متمـيز في الشـخصيات العديدة البارزة التي آمنت بها والمبادئ التي كانوا يدعون إليهـا ، والـتي تركـت بصمات واضحة على الفكر الديني الذي ساد جزيرة العرب[1] .

والتساؤل الذي يطرح نفسه هو : من هم هؤلاء في الجاهليـة ؟ لـماذا وصفـوا بالحنفاء ؟ ما عقيدتهم تحديداً ؟ هل أضافوا دينـاً جديـداً إلى ديانـات أهـل الجاهليـة العربية ؟ .

من هم هؤلاء الأحناف : إنهم مجموعة من الحكماء سَمَتْ نفوسهم عن عبـادة الأوثان ، ولـم يجنحوا إلى اليهودية أو النصرانية ، وإنما قالوا بوحدانية اللّـه[2] .

ورفضوا الرّذائل الّتي تفشَّتْ في مجتمعهم مثل الزّنا وشرب الخمر والتّعامل بالرِّبا ووأْدِ البنات ، كما امتنعوا عن الذّبح للأوثان وعن أكل ما يُذبح لها وعن أكل الميتة والدَّم .

وكانوا على ثقافة عالية نسبيًّا ، ذلك أنَّ كثيراً منهم كان يقرأ كتب الديانتين : اليهوديَّـة والمسيحيَّة ؛ وبعضهـم كـان يعـرف لغـة أخـرى غـير العربيَّـــة كالعِبْرِيَّـة والسُّريانيَّة ، وكانوا في الغالب علـى درجـة مـن اليُسْرِ الـماليِّ الّـذي مكّنهـم مـن السِّياحة في البلاد وخاصَّة فلسطين والشَّام بحثاً عن النّبيِّ إبراهيم عليه السـلام الّـذي يصفه القرآن الكريم أنّه كان «حنيفاً» .

و لم يكتفوا بالالتزام الذّاتيِّ . بل كانوا يدعون قومهم إليها مِمَّا عـرَّض بعضهـم إلى الأذى والعَنَتْ . منهم : « زيدُ بن عمرو بن نفيل العـدويّ » عــمّ « عمـر بـن الـخطّاب » رضي اللّـه عنه[3] .

---

(1) قريش من القبيلة إلى الدَّولة المركزيَّة ص117 .

(2) دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ص434 .

(3) قريش من القبيلة إلى الدَّولة المركزيَّة ص117 .

وقد كان الخطّاب « أبو عمر » آذى زيداً حتّى أخرجه إلى أعلى مكّة فنزل «حِراءَ» مقابل مكّة ... وأغرى به شبابَ قريشٍ وسُفهاءَها فأخرجوه وآذوه ، كراهةَ أنْ يُفْسِدَ عليهم دينَهم ، وأنْ يتبعه أحد منهم على فراق ما هم عليه[1] .

والأخباريُّون العرب ، والمفسِّرون الإسلاميُّون يسمّون أفراد هذه الجماعة بأسمائهم الآتية : قسُّ ابن ساعدة الإياديّ ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأميَّة بن أبي الصَّلْتِ ، وأرباب بن رئاب ، وسويد بن عامر المصطلقيّ ، وأسعد أبو كرب الحِمْيَريّ ، ووكيع بن سَلمة بن زهير الإياديِّ ، وعميرُ بن جندب الجهنيِّ ، وعدي بن زياد العباديِّ ، وأبو قيس حرقة بن أبي أنس ، وسيف بن ذي يزن ، وورقة بن نوفل القريشيِّ ، وعامر بن الظّرب العدوانيِّ ، وعبد الطّابخة بن ثعلب ابن قضاعة ، وعلاّف بن شهاب التّميميِّ ، والمتلمِّس بن أميَّة الكِنَانيِّ ، وزهير ابن أبي سُلمى ، وخالد بن سنان بن غيث العبسيِّ ، وعبد الله القضاعِيّ ، وعبيد بن الأبرص الأسديِّ ، وكعب بن لؤيِّ بن غالب[2] .

والمعروف عن أصحاب هذه الأسماء في مؤلف الإخباريين العرب ، أنَّ معظمهم عاش في الأيَّام الأخيرة من الجاهليَّة .

وأنَّ بعضهم عاش أيضاً في أيَّام الإسلام الأولى . لكنَّ الإخباريِّين أنفسهم قالوا عن بعضهم : أنَّه تنصَّر مثل : عدي بن زياد العبادِيِّ ، وأرباب بن رئاب . وقالوا عن بعضهم الآخر : إنَّه عاش قروناً قبل نهاية الجاهليَّة[3] .

وتحدَّثوا عن عقيدة كلِّ واحد منهم ، بما يدلُّ على أنهَّم لم يكونوا جميعاً متماثلين رأياً واعتقاداً ، كما لم يكونوا على صلةٍ وترابطٍ وتلاقٍ بينَهُمْ ، أيْ : لم يكونوا يؤلِّفون جماعة متواصلة تنظِّمها حركة نشاط مشتركة[4] .

---

(1) الهامش من كتاب الملل والنِّحل ، للشهرستاني ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، منشورات مؤسسة الحلبي وشركاه ، القاهرة ، 1968 م ، 297/3 . علق عليه الشيخ أحمد فهمي .

(2) انظر المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 370/5 .

(3) بلوغ الأرب 246/2 - 270 .

(4) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 370/5 .

ذلك يعني : أنَّ الجامعَ الوحيدَ بين هؤلاء «الحنفاء» ينحصرُ في مبدإ عامٍّ يلتقون فيه عَفَوياً ، ودون معرفة كلٍّ منهم بالآخر على الأخذ به ، هـو مبـدأُ رفـض عبـادة الأصنام وتعدُّد الآلهة ، والإيمان بوجود إله واحد .

وما خلا ذلك ليس لدينا عنهم في كتابات الإخباريِّين رسمٌ واضـح ، أي ليـس هناك مبادئُ وتفاصيلُ أخرى عمَّا يعتقده هؤلاء «الحنفاء» لا كجماعة ولا كأفراد. إنَّما هناك أمر يتحدَّثون عنه ، إضافةً إلى ذلك المبدأ الاعتقـاديِّ العـامِّ وهـو الجانب السُّلوكيُّ الأخلاقيُّ .

فنحن نعلم من كتب الإخباريِّين أنَّ «الحنفاء» كانوا قد تجنَّبوا النَّاس ، وطـاف بعضهم في الأرض بحثاً عن دين إبراهيم الحنيف ، وأنَّ منهم مَنْ كان قد قرأ الكتـبَ السَّماويَّة وفهمها ، وأنَّهم كانوا يتأمَّلون في هذا «الكـون» وأنَّهـم تجنَّبـوا الخمـرة ، والأعمال المنكرة ، ونصحوا النَّاس بالابتعاد عن الأصنام والتقرُّب من ا للهّ[1] .

يبقى مفهوماً من هذا الكلام ، أنَّ بعض « حكماء الجاهليَّة » ، كانوا يبحثـون عن موقف اعتقاديٍّ من العالـم ، يتميَّز عن موقف الوثنيَّـة الجاهليَّـة ، وموقـف كـلٍّ مِنَ الْيَهُودِيَّة والنَّصرانيَّة ، متأمِّلين في هذا الكون ، وملتزمين ــ سـلوكيًّا ــ بأخلاقيَّـة تتَّسق مع التزامهم الفكريِّ .

أما وصفهم بـ«الحنفاء» فإنَّ كلام الإخباريِّين العرب ، وبحـوث المستشـرقين[2] تنبئُ بأنَّه وصفٌ عرفه العربُ قبل الإسلام ، وكان يطلق عندهم على هذه الجماعـة من حكمائهم . وقد ورد الوصف بالجمع وبالمفرد في كثير من الآيات القرآنيَّة[3] .

---

(1) المرجع نفسه 75/5 .

(2) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 290/6 ـ 292 .

(3) وردت كلمة «حنيفاً» بصيغة المفرد ، وبصورة وصفيَّة متقرنـة باسـم «إبراهيـم» في خمس من السُّور القرآنيَّة : « البقرة : الآية 135 . آل عمـران : الآيـة 67 ــ 68 . النسـاء : الآيـة 125 . الأنعام : الآية 79 ـ 161 . النحل : الآية 120 ـ 123 » . ووردت غير مقترنة باسم إبراهيـم في سورتين هما : « يونس : الآية 105 . الروم : الآية 30 » ووردت كلمة «حنفاء» بصيغـة الجمع في سورتين هما : « الحج : الآية 31 . البيِّنة : الآية 5 » .

كما تشير إلى أنَّ مضمون هذا الوصف الَّذي ينطبق على الموقف الاعتقاديّ ، أو المبدأ العام لتلك الجماعة ، هو رفضُ «الوثنيَّة» بوجه مطلق أوَّلاً ، ومخالفة الثَّوابت الاعتقاديَّة لليهوديَّة والمسيحيَّة ثانياً[1] ولم يكن تحوُّل «الحنيفيَّة» إلى «حركة» قاصراً على اعتناق عدد كبير من المتنورِّين العرب إيَّاها ، بل في البصمات العميقة الْغَوْرِ الَّتي تركتها على الفكر الدِّينيِّ الخالِفِ لها في جزيرة العربِ .

فبادئ ذي بدء كان «للحنيفيَّة» الفضلُ في نشر عقيدة التَّوحيد ، وتجذُّرها واستهجان عبادة الأوثان والسُّخرية منها ، ومن عُبَّادها ، والكشف عن زِيْفِ ما كانوا ينسبونه إليها من قدرات ؛ وتهيئة الأذهان إلى الإيمان بالبعث والنُّشور والحساب والجنَّة والنَّار[2] .

أمَّا في نطاق التَّعبديَّات والسُّلوكيَّات والأخلاقيَّات فقد تركت من ورائها سَنَنَاً ترسَّخَتْ ؛ منها « تحريم الرِّبا ، تحريم شرب الخمر وحدِّ شاربها ، تحريم الزِّنا وحدِّ مرتكبيه ، الاعتكاف في غارِ حِرَاء في شهرِ رمضانَ ، والإكثارِ من عَمَلِ البرِّ وإطعام المساكين والفقراء ، وقطع يد السَّارق ؛ تحريم أكل الميتة والدَّم ولحم الخنزير. والنَّهي عن وأد البنات وتحمُّل تكاليف تربيتهنَّ . والصَّوم والاختتان والغسْل من الجنابة »[3] .

2 - الصَّابئة :

فيما يبدو لنا من تفسيرات الشَّهرستانيّ[4] ، فإنَّ مدار مذهب الصَّابئة يقوم على

---

(1) سورة البقرة 135/2 : « وقالوا : كونوا يهوداً أو نصارى تهتدوا . قل : بل ملَّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » .

وفي سورة آل عمران 67/3 - 68 : « ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » .

(2) قريش من القبيلة إلى الدَّولة ص123 .

(3) الجذور التَّاريخيَّة للشَّريعة الإسلاميَّة ، خليل عبد الكريم ، ط1 ، دار سينا للنَّشر ، 1990 م ، ص25 - 26 .

(4) الملل والنِّحل 63/2 .

التَّعصب للرُّوحانيَّـة لا للجسـمانيَّة الَّـتي هـي بِنِظَـرِهِ «مذهـب الحنفـاء» ... وهـذه الرُّوحانيَّة ، قد أُبدِعَتْ من أنوارٍ محضَةٍ لا ظلامَ فيها ، وليستْ مـن مـادَّة ، ولا مـن هيُولى[1] . والرُّوحانيَّة ، صورة مجرَّدَة ، ولا مخالِطَة ، وشخصُها نورانـيٌّ ، كـاملٌ لا ناقص[2] .

يفضُلُ الجسمانيَّ بقوتـي العلـم ، بمغيَّبـات الأمـور ، والعمـل بـالعكوف على العبادة ، والدَّوام على الطَّاعة[3] .

والرُّوحانيَّة متخصِّصة بالهياكل الْعُلْويَّة مثل : زُحَـل ، والمشـتري ، والـمِرِّيخ ، والشَّمس ، والزُّهرة ، وعُطارد والقمر ، وتـأمرُ باقتفـاء آثـار الهيـاكل ، وحركـات أفلاكها زماناً ومكاناً ، وجواهر وهيئـة ، ولِباسـاً ، وبخُوراً ، وتنجيمـاً ، ودُعـاءً ، والتَّقرُّب إلى هذه الهياكل يكون تقرُّباً إلى ربِّ الأربـاب ومسبِّب الأسباب[4] وقد جعل الصَّابئة لهذه الهياكل أشكالاً مختلفة : المدوَّر والمثَلَّث ، والمربَّـع ، والمستطيل ، والمسدَّس ، والمثمَّن[5] .

وكانوا يتقرَّبون إلى الهياكل تقرُّباً إلى الرُّوحانيَّات ، ويتقرَّبـون إلى الرُّوحانيَّـات تقرُّباً إلى الباري تعالى[6] .

وقد رأى الرُّواة[7] أنَّ الصَّابئة قديمو العهد ، عـاصروا إبراهيـم ، وكـانوا قبلَـه ، واستدلُّوا على ذلك من مناظرة إبراهيم لأبيه ولقومه في ما جاء به القرآن الكريم[8] ،

---

(1) المصدر نفسه 69/2 .

(2) المصدر نفسه 70/2 .

(3) المصدر نفسه 77/2 .

(4) المصدر نفسه 87/2 .

(5) مروج الذَّهب ، المسعوديّ ، دار الأندلس للطِّباعة والنَّشر ، بيروت ، ط1 ، 1965 م ، 236/2 .

(6) الملل والنِّحل 107/2 .

(7) المصدر نفسه 109/2 .

(8) سورة الأنعام : 74/6 ـ 83 ، وسورة الصَّافات : 95/37 وما بعدها .

كقوله : « فلمَّا رأى القمرَ بازغاً قال: هذا ربِّي » ... وأيضاً « فلمَّا رأى الشَّمس بازغةً قال : هذا ربِّي ، هذا أكبرُ ، فلمَّا أَفَلتْ ، قال : يا قوم إنِّي بريءٌ مِمَّا تشركون »[1] .

كما عزا الرُّواة ، فكرةَ التَّناسخ ، وتنقُّل الأرواح إلى الصَّابئة[2] .

ويقولُ ابنُ عيشون القاضي الحرَّاني ، وهو يذكرُ الصَّابئة وفرقَهم وهياكلَهم وأصنامَهم :

إنَّ نفيسَ العجائبْ بيتٌ لهمْ في سردابْ

تُعْبدُ فيهِ الكواكبْ أصنامُهم خلفَ غائبْ[3]

ويتحدَّث « محمَّد حسين هيكل » عنهم فيقول : فالصَّابئون ، من عبَّاد النُّجوم، كان لهم سلطان كبير في بلاد العرب ، وقد كانوا لا يعبدون النُّجوم لذاتها .

وإنَّما كانوا في بداءة أمرهم يعبدون اللّه وحدَه ، ويعظِّمون النُّجوم على أنَّها مظاهرُ خَلْقِهِ وقدرته[4] ويقول في موضعٍ آخر : « وكان في بلاد العرب ، وفيما يجاورها صابئة ومجوس يعبدون النَّار والشَّمس »[5] .

وينقلنا الشَّهرستاني إلى عباداتهم وطقوسهم فيقول : إنَّهم يصلُّون ثلاث مرات في اليوم ، ويغتسلون من الجنابة ، ومن لمس الميِّت . وقد حرَّموا أكل الجَزور ، والخنزير ، والكلب ، وذوات المخالب والحمام من الطيور . ونهوا عن السكر والاختتان . يزوجون بولي وشهود ، ولا يطلقون إلا بحكم حاكم ، ولا يجمعون بين امرأتين[6] .

---

(1) سورة الأنعام : 6/77 - 78 .

(2) الملل 2/113 ، ومروج الذَّهب 2/238 .

(3) مروج الذَّهب 2/238 .

(4) حياة محمّد ، محمّد حسين هيكل ، مكتبة النَّهضة المصريَّة ، ط13 ، 1968 م ، ص92 .

(5) المرجع نفسه ص150 .

(6) الملل والنحل 2/115 .

ونجد في القرآن الكريم ذكراً للصابئة تارة بعد اليهود والنصارى ، وطوراً بعد اليهود وقبل النصارى ، حيث جاء : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن باللّه واليوم الآخر ، وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[1] ، وأيضاً « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى .. »[2] ، « وإن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والذين أشركوا .. » .

والذي يفهم من قول القرآن الكريم ، أن الصابئة جماعة لها دين خاص كاليهود والنصارى ، ومن الأرجح وجودهم في أرض العرب عامة ، وفي الحجاز خاصة حيث ولد الرسول وتلقى القرآن .

وربما كان الصابئون عبدة للّه ومن ثم مالوا إلى عبادة النجوم والكواكب وخرجوا عن دينهم ، لأن كلمة صبأ يصبأ ، كما وردت في المعاجم تعني : خرج من دين إلى آخر[3] . وقد أطلقت هذه التسمية على الرّسول وأتباعه عندما تركوا ديانة قريش[4] .

ونرى هذه اللفظة ، وقد عنت الخارج عن دينه في شعر لسراقة بن عوف بن الأحوص : يقوله في لبيد الشاعر ، بعد أن أرسله قومه إلى الرسول ليرى خبره ، فعاد لبيد مسلماً ومصاباً بالحمى في الوقت نفسه . عاد يذكر البعث والجنة والنار :

لعمر لبيدٍ إنّه لابنِ أمِّه ... ولكنْ أبُوه مَسَّهُ قدَمُ العَهْدِ

دفعناك في أرضِ الحِجازِ كأنّما ... دَفَعْنَاك فَحلاً فوقَهُ قَرَعُ اللّبدِ

فعالجْتَ حُمَّاه وداءَ ضُلوعِهِ ... وَتَرْنيقَ عَيْشٍ مَسّه طَرفُ الجَهْدِ

---

(1) سورة البقرة : 62/2 .

(2) سورة المائدة : 69/5 ، والحج : 17/22 .

(3) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1994 م ، 107/1 «صبأ» .

(4) المصدر نفسه 107/1 .

وَجِئْتَ بِدِينِ الصَّابِئِينَ تَشُوبُهُ بِأَلْوَاحِ نَجْدٍ بَعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ
وإنَّ لَنَا دَاراً زَعَمْتَ ومَرْجِعاً وَثَمَّ إِيَابُ القَارِظِين وذِي البُرْدِ(1)

3 ـ المجوسية :

أما المجوسية فهي عبادة النار ، وكانت المجوسية في العرب في «تميم» ومن آثار هذه الديانة ، نار الحلف ، وحلفهم بالرماد والنار ومن مذاهبهم زواج البنات(2) .

4 ـ الزندقة :

يقول عنها صاحب القاموس : «الزنديق» : من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة، أو مَنْ لا يؤمن بالآخرة والربوبية ، أو من يبطن الكفر ويظهر الإسلام .

وفي اللسان : الزنديق : القائل ببقاء الدهر ، فارسي معرب ، وهو بالفارسية «زَنْدِكِرَاي » ، يقول بدوام الدهر .

وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف» عند الكلام على أديان العرب في الجاهلية: كانت الزندقة في قريش ، أخذوها عن الحيرة .

وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ : كانت الزندقة والتعطيل في قريش(3) .

5 ـ الوثنية :

وهي أكثر المعتقدات انتشاراً عند العرب في الجاهلية ، تحدث عنها د. علي الجندي ، فقال : « وأما الوثنيون ، فكانوا أكثرية العرب الجاهليين ، وهم عبدة الأصنام والأوثان ، والصنم يكون غالباً تمثالاً ، أما الوثن فيكون غالباً حجراً ، وقد يسمى الصنم بالوثن .

(1) الأغاني ، الأصفهاني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1929 م ، 59/17 .
(2) تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، ص112 .
(3) المرجع نفسه والصفحة نفسها . وانظر القاموس واللسان «زندق» .

يقول ابن الكلبي : المعمول من خشب أو ذهب أو فضةٍ صورة إنسان فهو صنم، وإذا كان من حجارة فهو وثن . وقال السهيلي : يقال لكل ما كان من حجر أو غيره صنم ، ولا يقال وثن إلا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره »[1] .

وكانوا في عبادتهم للأوثان يؤمنون باللّه ، زاعمين أنها تشفع لهم عند اللّه ويقولون : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّه زلفى »[2] ، و « لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن اللّه »[3] .

وكان لكل قبيلة صنم أو أكثر ، وكان منها عند الكعبة كثير ، حتى قال الزمخشري : إنه كان حولها ثلاثمائة وستون صنماً .

ومن أهم هذه الأصنام : أساف ونائلة : وهما صنمان عبدتهما العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندها ، ويقال إنهما كانا في الأصل رجلاً وامرأة فجرا في الحرم فمسخا .

ومنها « ذو الخلصة » لخثعم ، والشارق ؛ و«هبل» « كان أعظم الأصنام عند قريش ، وكان من عقيق أحمر على صورة إنسان » ؛ و«ودّ» « عبدته كلب بدومة الجندل » ؛ و«نسر» « لحمير وهمدان منصوب بصنعاء » ؛ و«سواع» «لكنانة» ؛ و«العزى» «لغطفان» ، و«اللات» «لثقيف» وكان بالطائف ؛ و«مناة» « للأوس والخزرج » ؛ و«يغوث» «لمذحج»[4] .

خامساً : طقوس الحجِّ في الجاهليَّة :

* الحمس والحلة والطلس :

أشرنا سابقاً إلى أن : المجتمع الجاهلي قد عرف مجموعة من الأديان منها الموحدة

(1) تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، ص113 .

(2) سورة الزمر : 3/39 .

(3) سورة لقمان : 25/31 .

(4) تاريخ الأدب الجاهلي ص114 ، والأصنام لابن الكلبي ص28 ـ 29 .

كاليهودية والنصرانية والحنيفية إلى جانب الوثنية التي كانت تعترف بتعدد الآلـهة .

فاليهودية كانت لها مدراسات خاصة ، ومحافل لا يدخلها إلا أتباعهم . والنصرانية لها كنائس وبيع وأديرة ، والحنيفية لها غار حراء والكعبة ، والوثنية كانت لها «الكعبة» فقط .

وهذه الأديان مجتمعة ... كانت تقيم طقوساً ، وتلتزم عادات خاصة بها . من أبرزها الحج في أوقات محددة . فاليهودية تحج إلى أورشليم ، والنصرانية تحج إلى بيت المقدس ، والحنيفية تحج مع الوثنية إلى الكعبة المشرَّفة .

ونحن نعلم أن « قصي بن كلاب » مؤسس «قريش» قد جعل قواعد وأنظمة لهذا الحج . ابتداءً من الطقوس وانتهاءً باستقبال الحجيج وتحقيق الأمن لهم . من هذه القواعد .. تقسيم الطائفين بالبيت الحرام إلى « الحمس والحلة » .

ويذكر الإخباريون أن الطائفين بالبيت كانوا على صنفين : صنف يطوف عرياناً ، وصنف يطوف في ثيابه . ويعرف من يطوف بالبيت عرياناً بـ«الحلة» .

أمّا الذين يطوفون بثيابهم ، فيعرفون بالحمس[1] . وأضاف بعض أهل الأخبار إلى هذين الصنفين ، صنفاً ثالثاً قالوا له : «الطلس»[2] .

وهم يذكرون أن «الحلة» هم ما عدا «الحمس» ، وأنهم كانوا يطوفون عراة إن لم يجدوا ثياب أحمس ، وكانوا يقصدون من طرحهم ثيابهم ، طرحهم ذنوبهم معها[3] .

---

(1) أخبار مكة للأزرقي ، تحقيق رشدي الصلح ملحسن ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1983 م ، 113/1 ؛ اليعقوبي 226/1 ؛ والمحبر ، ابن حبيب ، اعتنى بتصحيحه إيلزة ليختن شتيتر ، بيروت ، لاط ، لات ، ص179 ؛ والسيرة لابن هشام 212/1 ؛ والعمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد قرقزان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، 1988 م ، 188/2 .

(2) المحبر ص179 .

(3) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 357/6 .

ويذكرون أنهم كانوا يقولون : « لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب» . ولا نعبد اللّه في ثياب أذنبنا فيها ، و« لا نطوف في ثياب عصينا اللّه فيها » ، وذُكر أنهم « كانوا إذا طافوا خلعوا ثيابهم وقالوا : لا نطوف في ثياب عصينا اللّه فيها ، فيلقونها عنهم ، ويسمّون ذلك الثوب ، «اللقيّ»[1] .

وفي رواية أن من يطوف من «الحلة» بثياب يضرب ، وتنتزع منه ثيابه[2] .

فجعلت هذه الرواية خلع الثياب واجب على الحلة محتم عليهم ، لا يجوز مخالفته ، وإلا تعرض المخالف للعقاب . وتخضع النّساء لهذه القاعدة أيضاً إذا كنَّ من الحِلّة ، فكانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة[3] ، وقيل تضع إحداهنَّ ثيابها كلّها إلا درعاً مفرّجاً عليها ثم تطوف فيه[4] .

وقيل كانت تقف على باب المسجد ، فتقول : مَنْ يعير مَصُوناً ؟ مَنْ يُعِيْر ثوباً؟ مَنْ يعيرُني تَطوافاً ؟ فإنْ أعارها أحدٌ ثوباً أو كَرَاهُ لها طافَتْ به ، وإلا طافَتْ عريانة ، كما يطوفُ الرِّجال على حدِّ زعم الرِّوايات . لا يسترُ عورتَها لباس أو قماش ، بل كانت تضع إحدى يديها على قُبُلها ، واليدُ الأخرى على دُبرِها ، وتطوفُ حول البيت على هذا النَّحو .

وهم يروون في ذلك بيتاً ينسبونه لامرأة جميلة ، قيل هي : ضُباعة بنت عامِر ابن صَعصعة ، طافت بالبيت عريانة وهي تقول :

اليومَ يبدو بعضَه أو كلَّه   وما بدا مِنْهُ فلا أُحِلّه[5]

---

(1) أخبار مكة للأزرقي 117/1 ؛ ولسان العرب «لقا» .

(2) المرجع نفسه 112/1 .

(3) صحيح مسلم 162/18 .

(4) سيرة ابن هشام 133/1 = حاشية على الرَّوض الأنف .

(5) الأزرقيُّ 115/1 ـ 117 ؛ والرَّوض الأنف ، السهيلي ، مطبعة الرحمانية ، مصر ، 1914 م ، 133/1 ؛ وصحيح مسلم 162/8 ؛ وتفسير الطَّبريِّ 118/8 ؛ وتفسير القرطبيِّ الجامع 189/7 .

وشاءت بعض الرِّوايات أنْ تخفِّفَ من وضع طواف النِّساء على هذه الصُّورة في النُّفوس ، فذكرت أنَّ بعض النِّساء كانت تتّخذ سِيُوْرَاً فتعلّقها في حقوقِها تَسْتَتِرُ بها[1] .

وذكرت روايات أخرى أنَّهنَّ كنَّ يطفْنَ ليلاً ، وبذلك يتخلَّصْنَ من وقوع سترِهنَّ في أعينِ الرِّجال ، لأنَّ طواف الرِّجال في النَّهار[2] .

وقد وصفت بعض الرِّوايات طوافَ العريان فقالت : « يبدأُ بإسافٍ فيستلمه، ثم يستلم الرُّكنَ الأسود ، ثم يأخذ عن يمينه ، ويطوف ويجعل الكعبة عن يمينه ، فإذا حسم طوافه سبْعاً ، استلم الرُّكنَ ، ثمَّ استلم نائلة فيختتم بها طوافه ثم يخرجُ فيجدُ ثيابَه كما تركها لم تُمَس ، فيأخذها ، فيلبسها ولا يعود إلى الطَّواف بعد ذلك عرياناً[3] . هذا هو طوافُ أهلِ الجاهليَّة قبل الإسلام على روايةِ أهلِ الأخبار .

وجاء في بعض الرِّوايات : « كانت العرب تطوف بالبيت عراةً إلاَّ الحُمْس ، والحمس قريش وما وَلَدَتْ ، كانوا يطوفون بالبيت عراة ، إلاَّ أنْ تُعْطِيْهم الحُمس ثياباً ، فيعطي الرِّجالُ الرِّجالَ والنِّساءُ النِّساءَ » ، « مِمَّنْ لم يكن له من العرب صديق بمكَّة يعيره ثوباً ولا يَسَارٌ يستأجرُ به ، كان بين أحد أمرين : إمَّا أَنْ يطوفَ بالبيت عرياناً ، وإمَّا أنْ يطوفَ في ثيابهِ ، فإذا فرغَ من طوافهِ ألقى ثوبَه عنْه ، فلم يمسّه أحد . وكان ذلك الثُّوب يسمَّى اللَّقى »[4] .

وجاء أيضاً أنَّ «الحمس» كانوا يقولون : نحنُ أهلُ الحَرَمِ ، فلا ينبغي لأحدٍ مِنَ العرب أنْ يطوفَ إلاَّ في ثيابِنا ، ولا يأكلَ إذا دخَلَ أرضنا إلاَّ من طعامِنا[5] .

---

(1) الأزرقيُّ 117/1 .

(2) الأزرقيُّ 117/1 ؛ والطبرسيِّ 414/3 .

(3) الأزرقيُّ 114/1 .

(4) تفسير القرطبيِّ 189/7 .

(5) المرجع نفسه 189/7 .

وورد أنَّهم « كانوا يطوفون بالبيت عراةً ، وهم مُشْبكونَ بيْنَ أصابعِهم يَصْفِرُونَ فيها ويصفِّقون »[1] .

ويذكرُ بعضُ أهلِ الأخبارِ أنَّ طوافَ الطَّائف عرياناً إنَّما يكون للمرَّة الأولى فإذا عادَ فطافَ بعد ذلك ، لبِسَ ملابسه ، وطاف بملابسه كالْحُمْس لا يلقيها خارجَ حدودِ الحَرَمِ .

والتَّفسير الَّذي ذكره الإخباريُّون لطواف العربيِّ ، هو رغبة الطَّائف حول البيت أنْ يكون نقيًّا متحرِّراً عن ذنوبه وآثامه بعيداً عن الأدران . واعتقاده أنَّ طوافَه بملابسِه طوافٌ غير صحيح ، لأنَّ ملابسه شاركتْهُ في آثامه ، فهي ملوَّثة نَجِسَة ، ولذلك هَابَ مِنْ لبسها ، فإذا أتمَّ طوافه تركها في موضعها ، ولبسَ ملابسَ أخرى جديدة[2] .

ويذكر الإخباريُّون أنَّ تلك الملابسَ الَّتي يلقيها المُحْرم تبقى في مكانها ، لا يمسّها أحد ، ولا يحرِّكها حتَّى تَبْلى مِنْ وَطءِ الأقدام ومِنَ الشَّمس والرِّياح . ويقال لهذه الثياب الَّتي تطرح بعد الطَّواف «اللَّقي» وقد أشير إليها في شعر « ورقة بن نوفل »[3] .

ولعلَّ اعتقاد القوم بأنَّ تلك الملابس ملوَّثة بالأدران ، هو الَّذي مَنَعَ النَّاس الآخرين من لَمْسِ تلك الملابس والاستفادة منها ، فتركوها لذلك للأرض وللشَّمس والرِّياح تعبثُ بها إلى أنْ تتمزقَ وتَهْرَى[4] .

---

(1) تفسير النيِّسابوريِّ 157/9 ، حاشية على تفسير الطبريِّ ؛ وتفسير الطبريِّ 157/9 وما بعدها .

(2) الأزرقيُّ 117/1 ؛ واللِّسان 122/20 ؛ والكشّاف 60/2 .

(3) كفى حَزَناً كَرِّي عليه كأنَّه ... لقًى بينَ أيدي الطائفينَ حريمُ

الأزرقيُّ 112/1-114 ؛ واللِّسان 122/20 ؛ والنِّهاية في غريب الحديث 29/4 ؛ وتفسير القرطبيِّ الجامع 189/7 .

(4) Robertsoh Smith /P.75/ .

ولكنّنا نجدُ الإخباريِّين يعودون فيروون روايات تناقض ما ذكروه عن «اللّقي» إذ يقولون : كان الحلّة إذا ختموا طوافهم وأتمّوه بنائِلَةَ ، خرجوا إلى ثيابهم الّتي ألقوها خارج باب المسجد فلبسوها فإذا أرادوا الطّواف مرَّة أخرى طافُوا بملابِسهم[1] .

فهم يقرون في هذه الرواية طواف العربي ، ولكنهم ينكرون ترك «اللقي» على الأرض لتدوس عليها الأقدام ، ولتلعب بها الرياح وتعبث بها الأهوية والأتربة ، ويجعلون أصحابها يعودون إليها فيلبسونها تارة أخرى .

ونقرأ في كتبهم رواية أخرى تذكر أن أحداً من «الحلة» إذا لم يجد ثياب أحمسي يطوف فيها ومعه فضل ثياب يلبسها ، غير ثيابه التي عليه ، فطاف في ثيابه ثم جعلها لقى يطرحها بين أساف ونائلة فلا يمسها أحد ولا ينتفع بها فتقع حتى تبلى من وطء الأقدام والشمس والرياح والأمطار[2] .

ويتحدث ابن حبيب في كتابه «المحبّر»[3] عن قبائل الحمس والحلة والطلس من العرب فيقول : قبائل الحمس العرب : قريش كلها وخزاعه لنزولها مكة ، ومجاورتها قريشاً وكل من ولدت قريش من العرب ، وكل من نزل مكة من قبائل العرب .

فمن ولدت قريش : كلاب ، وكعب ، وعامر ، وكلب بنو ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، وأمهم مجد بنت تميم بن غالب بن فهر . وإياها عنى لبيد بن ربيعة بقوله :

سقى قومي بني مجد وأسقى ... نميراً والقبائل من هلال

والحارث بن عبد مناة بن كنانة . ومدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بنزولهم

---

(1) الأزرقيُّ 114/1 .

(2) المرجع نفسه 114/1 .

(3) المحبر 178 ـ 179 .

حول مكة . وعامر بن عبد مناة بن كنانة ، ومالك ، وملكان ابنا كنانة . وثقيف . وعدوان . ويربوع بن حنظلة ومازن بن مالك بن عمرو بن تيم . وأمهما[1] جندلة بنت فهر بن مالك بن النضير .

ويقال إن بني عامر كلهم «حمس» لتحمس أخوتهم من بني ربيعة بن عامر . وعلاف وهو ربان بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وجناب بن هبل ابن عبد اللّه بن كلب ، وأمه آمنة بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأمهما مجد بنت تيم الأدرم بن غالب بن فهر[2] .

قبائل الحلة من العرب : تميم بن مرّ كلها غير يربوع . ومازن ، وضبّه ، وحميس ، وظاعنة ، والغوث بن مر ، وقيس عيلان بأسرها ما خلا ثقيفاً ، وعدوان، وعامر بن صعصعة ، وربيعة بن نزار كلها ، وقضاعة كلها ما خلا علافاً وجناباً والأنصار ، وخثعم ، وبجيلة ، وبكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهذيل بن مدركة ، وأسد ، وطيئ وبارق .

* **قبائل الطلس من العرب :**

وهم سائر أهل اليمن وأهل حضرموت ، وعك ، وعجيب ، وإياد بن نزار . فكان أصحاب «الحُمْسِ» قد شدَّدوا على أنفسهم في دينهم : فكانوا إذا نَسَكُوا لم يَسْلأُوا سَمْنَاً ولم يطبخوا إقْطَاً ، ولم يدَّخروا لبناً ، ولم يحولوا بين مرضعةٍ ورضاعها حتى يعافَه ، ولم يحركوا شَعراً ولا ظُفراً ، ولا قصُّوا في حجِّهم شَعراً ولا وبراً ولا صوفاً ولا قطناً ، ولا يأكلون لحماً ، ولا يمسُّون دهناً ، ولا يلبسون إلا جديداً ، ولا يطوفون بالبيت إلاَّ في حذائهم وثيابهم ، ولا يمسُّون المسجدَ بأقدامهم تعظيماً لبقعته ، ولا يدخلون البيوتَ من أبوابها ، ولا يخرجون إلى عرفات .

---

(1) أي أم يربوع ومازن كما نقل أيضاً وستنفلد عن الحماسة .

(2) في الأصل «بن» وهو غير صحيح لأن بين «عبد الله» وبين «كلب» سبعة أجيال .

يقولون : نحنُ أهل اللّه ، ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم ، ويطوفون بالصَّفا والمروة إذا انصرفوا من مزدلفة ، ويسكنون في ظعنهم قبابَ الأدمِ الحمر .

وكان أصحاب «الحِلّة» يحرِّمون الصَّيْدَ في النُّسك ولا يحرِّمونه في غير الحرم ، ويتواصلون في النُّسك ، ويمنح الغنيُّ ماله أو أكثره في نسكه فيسلأ فقرائهم السَّمن ، ويجتزُّون من الأصواف والأوبار والأشعار ما يكتفون به ، ولا يلبسون إلا ثيابهم الَّتي نسكوا فيها ، ولا يلبسون في نسكهم الجدُدُ ولا يدخلون من بابِ دارٍ ولا بابِ بيتٍ ، ولا يؤويهم ظلٌّ ما داموا مُحْرَمِيْنَ .

وكانوا يدهنون ، ويأكلون اللَّحم ، وأخصب ما يكونون أيَّام نسكهم . فإذا دخلوا مكّة بعد فراغهم تصدَّقوا بكلِّ حذاء وكلِّ ثوب لهم ثم استكْرَوا من ثياب الحُمْس تنزيهاً للكعبة أن يطوفوا حولها في ثياب جدد ، ولا يجعلون بينهم وبين الكعبة حذاء يباشرونها بأقدامهم ، فإنْ لم يجدوا ثياباً طافوا عراةً .

وكان لكلِّ رجل من «الحِلّة» حَرَمِيٌّ من «الحُمس» يأخذ ثيابَه فمَنْ لم يجد ثوباً طاف عرياناً وإنّما كانت «الحِلّة» تَسْتَكْرِي الثِّياب للطَّواف في رجوعهم إلى البيت لأنّهم كانوا إذا خرجوا حجَّاجاً لم يستحلُّوا أن يشتروا شيئًا ، ولا يبيعوه حتى يأتوا منازلهم إلا اللَّحم .

وكان رسول اللّه ﷺ حرميَّ عيّاض بن حمار المجاشعيّ : كان إذا قَدِمَ مكَّة طاف في ثياب رسول اللّه ﷺ وكان أصحاب «الطُّلس» : بين «الحِلّة» و«الحُمْس» : يصنعون في إحرامهم ما يصنع «الحِلّة» ، يصنعون في ثيابهم ودخولهم البيت ما يصنع «الحمس» وكانوا لا يتعرَّوْن حول الكعبة ولا يستعيرون ثياباً ، ويدخلون البيوت من أبوابها ، وكانوا لا يئدون بناتهم ، وكانوا يقفون مع «الحِلّة» ويصنعون ما يصنعون[1] .

---

(1) المحبّر ص179 - 181 .

الفصل الثّاني

ترجمة ورقـة بن نوفل

أوّلاً : نسبُه :

هو ورقةُ بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى[1] بن قصيّ القرشيّ الأسديّ بن كلاب

---

(1) ينظر في ترجمته وأخباره :

السيرة النبوية لابن هشام 222/1 وما بعدها .

نسب قريش للمصعب الزبيري ، عني بنشـره وتصحيحـه والتعليـق عليـه إ . ليفـي بروفنسـال ، دار المعارف بمصر ، لاط ، 1953 م ، ص207 وما بعدها .

جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسي ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، ص120 .

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير للحافظ الذهبي ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتـاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1989 ، ص159 .

الطبقات الكبرى لابن سعد ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لاط ، لات ، 14/8 .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لاط ، 317/6 .

مروج الذهب للمسعودي 87/1 .

عيون الأثر لابن سيّد الناس ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، لاط ، 1356 هـ ، ص51 .

خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ، تحقيـق محمـد نبيـل طريفـي ، دار الكتـب العلميـة ، بـيروت ، 1998 م ، 361/3 وما بعدها .

بلوغ الأرب 269/2 .

شعراء النصرانية جمعه وذيله بالحواشي الأب لويس شيخو ، مطبعة الآبـاء اليسـوعيين ، بـيروت ، ط3 ، ص616 .

الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط6 ، 1984 م ، 114/8 . =

ابن مرّة بن كعب بن لؤي . يجتمع مع النّبيّ ﷺ في جدّ جدّه[1] . وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النّبيّ ﷺ [2] ابن أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ بن كلاب[3] .

فيكون قصيٌّ الجدَّ الثّالث لورقة بن نوفل وخديجة ، والجدَّ الرّابع لمحمّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيٍّ .

والثّلاثة يلتقون في قصيٍّ نَسباً وجاهاً ومقاماً . والثّلاثة من قريش سدنة الكعبة، ومن سكّان مكّة ؛ وأصحاب دار النّدوة .

عُرف عن قصيٍّ أنّه تولّى أمر الكعبة بعد طرده قبيلتيْ بني بكرٍ وخزاعةَ من مكّة ، وأنّه جمع شَتَات القبائل المبعثرة في شِعاب مكّة وبطاحها تحت زعامته .

= المفصل في تاريخ العرب 500/6 .

(1) كتاب الاختيارين ص258 ح1 ، وخزانة الأدب للبغدادي 362/3 ، وبلوغ الأرب للألوسي 269/2 ، والمفصل في تاريخ العرب 500/6 .

(2) مروج الذهب للمسعوديّ 87/1 ، والكامل في التّاريخ ، لابن الأثير ، دار صادر ، بيروت ، لاط، 1979 م ، 48/2 . وفيه : « وهو ابن عمّها » مكان « عمّ خديجة » .

وتاريخ الطّبريِّ تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطّبريِّ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3 ، 1991م ، 531/1 . وفيه : « هو ابن عمّها » مكان « عمّ خديجة » ، وأيضاً تاريخ الطّبريِّ 533/1 .

والأعلام للزّركلي 115/8 . وفيه : « ابن عمّ خديجة أمّ المؤمنين » مكان « وهو ابن عمّ خديجة بنت خويلد زوج النّبيِّ ﷺ » .

والإصابة لابن حجر 317/6 . وفيه : « حذف بنت خويلد » .

وتاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام للذّهبيِّ ص118 . وفيه : « إلى ابن عمّها » و ص124 . وفيه : « وكانت خديجة قد ذَكَرَتْ لعمّها ورقة بن نوفل » وهذا نقلاً عن الحاشية الّتي تشيرُ إلى سيرة ابن هشام 191/1 ونقلاً عن ابن إسحاق 132/1 . وفيه : « وهو ابن عمّها » .

(3) نسب قريش ، لأبي عبد اللّه المصعب بن عبد اللّه بن المصعب الزّبيريِّ ، دار المعارف ، مصر ، لاط ، 1953 م ، ص21 .

وأطلق على هذا التّجمع اسم قريش .

وقريش هو التّجمع من قول ابن إسحاق : إنّما سمِّيَتْ قريش قريشاً لتجمُّعها بعد تفرُّقها ويقال للتّجمع التّقرُّش[1] .

وقصيّ بن كلاب ... تزوّج من حبّى بنت حُلَيْل الخزاعيّ[2] ، وكان له أولاد ومال ، فَعَظُمَ شرفُه ، وجَمَعَ قومَه ، وتملّكَ عليهم[3] .

فكانَتْ إليه ستّةُ أمور : الحجابة[4] والقيادة والسِّقاية[5] والرِّفادة[6] والنّدوة[7] واللّواء[8] ، توزَّعها أبناؤه الأربعة بعده بالتّساوي ، وهم عبدُ الدّار وعبدُ العزّى وعبد قصيٍّ وعبد مُناف[9] .

---

(1) قس ونبي ، أبو موسى الحريري ، لا م ، لاط ، 1979 ، ص13 . نقلاً عن سيرة ابن هشام 87/1.

(2) انظر نسب قريش ص14 . وانظر سيرة ابن هشام 156/1 .

(3) انظر سيرة ابن هشام 156/1 - 157 .

(4) الحجابة : أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه .

(5) السِّقاية : يعني سقاية زمزم ، وكانوا يصنعون بها شراباً في الموسم للحاجِّ الّذي يوافي مكّة ويمزجونه تارة بعسل وتارة بلبن ، وتارة بنبيذ يتطوّعون بذلك من عند أنفسهم .

(6) الرِّفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم ، ويقولون : هم أضيافُ اللّه تعالى .

(7) النّدوة : الاجتماع للمشورة والرّأي ، وكانت الّدار الّتي اتّخذها قصيٌّ لذلك يقال لها دارَ النّدوة ، وهذه الدّار صارَتْ بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم . وذلك في زمن معاوية ، فلامه معاوية في ذلك . وقال أبعت مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التّقوى ، واللّه لقد اشتريتها في الجاهليّة بزقِّ خمر ، وقد بعتها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أنّ ثمنها في سبيل اللّه ، فأيُّنا المَغْبُون ؟

(8) اللّواء : لواء الحرب ، لأنّه كان لا يحمله عندهم إلا قومٌ مخصوصون .

ملاحظة : 3 - 7 كما وردت في حاشية سيرة ابن هشام 161/1 .

(9) انظر سيرة ابن هشام 161/1 .

إذن ... فورقة بن نوفل وخديجة والنّبيّ محمّد ينتمون إلى قصيٍّ الجدِّ الأوّل لقبيلة قريش الّذي بمساعدة قبيلة بني عذرة النّصرانيّة ، أخرجَ خزاعةَ من مكّة وقَضَى عليها[1] .

وفي روايةٍ أخرى أنَّ قيصرَ الرُّومِ أعانَ قصيًّا على خزاعَةَ[2] . وذلك عن طريق الغساسنة حلفاء الرُّوم .

وقد تكون قبيلة بني عذرة النّصرانيَّة ، الّتي عاشت على مقربة من حدود بلاد الشّام ، هي الّتي توسَّطتْ فيما بين قصيٍّ والرُّوم ، وقد كانت خاضعةً لنفوذهم[3] .

وهي الإشارة الأولى لعلاقة قبيلة قريش ، منذ نشأتها ، على يد قصيٍّ مؤسِّسها، بالرُّوم والقبائل النّصرانيَّة . ولا بدَّ أنْ يكونَ لهذه العلاقة السياسيَّة من أثرٍ في الدِّين والإيمان .

ويشهد على ذلك هَدْمُ قصيٍّ للأصنام الّتي أدخلتْها قبيلةُ خزاعةَ على يد ملكِها عمرو بن لحيٍّ الّذي غيرَّ دينَ التّوحيد[4] .

والمعروف عن قصيٍّ أنّه أوّل من بَنَى الكعبة ، بعد بناء تبَّع اليمنيِّ ، وسَقَفَها بالخشب ، وأوّلُ مَنْ أظهرَ الحجرَ الأسودَ ، وكانَتْ قبيلَةُ إيادٍ دفنتْهُ في جبال مكّة ، وأوّل مَنْ بنى المساكن في مكّة ، ونقض الخيام ، وأوَّل مَنْ نظّم شؤونَ المدينة ... وبهذا النّسب إلى قصيّ كان « القسّ ورقة » والنّبيّ يتشوّفان[5] .

---

(1) قسٌّ ونبيٌّ ص15 نقلاً عن الطّبقات الكبرى ابن سعد 66/1 ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ، للنّويري ، دار الكتب ، مصر ، لاط ، لات ، 20/16 ؛ وتاريخ الطّبريّ 255/2 .

(2) المعارف لابن قتيبة ص640 .

(3) قسٌّ ونبيٌّ ص15 نقلاً عن الكامل في التّاريخ لابن الأثير 7/2 ، وأخبار مكّة للأزرقيّ 55/1 .

(4) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 14/4 .

(5) قسّ ونبيّ للحريري ص15 .

يتشوّفان : يرتفعان ، يشرفان أو ينظران .

وثمّة رأيان يخالفان ما رمى إليه «الحريريّ» في كتابه «قسّ ونبيّ» في مسألة : حلول قصيٍّ محلَّ الخزاعيِّين في مكّة وتحطيمه الأصنام .

الرّأي الأوّل يطالعنا به أحمد عمران في كتابه « الحقيقة الصَّعبة في الميزان » إذ يقول : أما حلول قصيٍّ محلَّ الخزاعيّين في مكّة وتحطيمه الأصنام . فليس دليلاً على انتمائه الفطريِّ ، ولا على أنه أحلَّ النّصرانيَّة في مكّة ، خاصَّة والتّاريخ لا يسعف هذا المنطق بكلمة واحدة .

والأصنام التي هدَّمها قصيٌّ ، هي الّتي كان عمرو بن لحيٍّ الخزاعيٍّ جلبها معه من بلاد الشَّام . وحدَها دونَ سواها هي الّتي هدَّمها قصيٌّ ، لأنّها من أثر الخزاعيِّين ومن علامات وجودهم وسيطرتهم .

ولم يبق غير «هبل» الّذي تحطَّم يوم فتح مكّة مع مئات الأصنام الّتي كانت في الكعبة وبجوارها .

وإن قصيًّا جَلَبَ الحجرَ الأسود الّذي كانت قبيلة إيادٍ قد خطفته ودفنته في أحد جبال مكّة ، وأعاده إلى مكانه ، وهذا العمل ، وما يرمز إليه ، يقطع في الدّلالة على أنَّ قصيًّا لم يكن نصرانيًّا. وأنَّ الالتفاف حول الكعبة لم يكن إحدى الشّعائر التي تمارسها النّصرانيَّة في إحدى كنائسها[1] .

والرّأي الآخر ما جاء به « أحمد علي حسن » في كتابه « أضواءٌ على الحقيقة الصَّعبة » إذ يقول : فالحريريّ ... يَرْجِعُ بالمجد الّذي حقّقه قصيٌّ جدُّ نوفل وخديجة ومحمّد إلى مساعدة الرُّوم له عن طريق الغساسنة .

وهذه الحكاية لا تخفى دلالتها ولا ما يراد منها ، فهو يريد أن يُظهر من خفايا التّاريخ أنَّ المجدَ العربي في مكّة وما حولَها يعودُ إلى مساعدةِ النّصرانيَّة ، ولكنْ ضِدَّ مَنْ ؟ ضدَّ قبيلة النّصرانيَّة . ممّا يتبيّن منه أنَّ قبيلة خزاعة النّصرانيَّة هي ذاتُ الشَّأن في تلك البلاد وأنَّ للنّصرانيَّة شأنها لولا تدخُّل الغساسنة[2] .

---

(1) الحقيقة الصَّعبة في الميزان ، أحمد عمران ، دار النّخبة العلميّة ، بيروت ، ط1 ، 1993 م ، ص56 .

(2) أضواء على الحقيقة الصّعبة ، أحمد علي حسن ، لانا ، لاط ، 1991 م ، ص26 ـ 27 .

ونحن نميل إلى القول : بوجود النّصرانيَّة في مكّة ، لكنْ في حدودٍ ضيّقة جدًّا، تكاد لا تشكّل تجمُّعاً يستطيع التّأثير في القبيلة .

ولـمَّا جاء قصيٌّ وتزوَّج من حبَّى بنت حُلَيْل الخزاعـيِّ ، كـان حليـلُ حـاملَ مفاتيح الكعبة في مكّة . وعندما هَلَكَ أوصى بولايةِ البيتِ لصهرِهِ قصـيّ . وهـذا ما أعطاه دَفْعاً معنويًّا قويًّا حَدَا به للتفكير بالسُّلطة والقيادة والدِّفاع عنهما .

لكنَّ الخزاعيِّين لـم يستسلموا لهذه الظّاهرة بسهولة . مِمَّـا اضطـره للاتّصـال بأخيه رزاح بن ربيعة لنجدته وللسَّعي وراء مساندة الغساسنة المتحالفين مع الرُّوم ليتحققَ ما يصبو إليه .

هذا السِّعي لا يعني الميلَ أو الانتسابَ إلى النّصرانيَّة . لأنَّ النّصرانيَّة بحدِّ ذاتهـا عقيدة والعقيدة يدافع عنها أصحابها ويعتزُّون بها .. لكنْ لـم نلمسْ ذلـك منـه عَبْرَ تاريخِه .

وأمَّا تحطيم الأصنام ، فهذا أمر طبيعيٌّ . لأنَّ الخزاعيِّين هم ولاةُ البيت قبلَه .

وبالتّالي هم حماة الأصنام المتواجدة فيه خاصَّة وأنَّ قصب السَّبْق في وجودهـا يعود لعمرو بن لحيّ الخزاعيِّ الّذي أتى بها من بلاد الشّام إلى مكّة ... وتحطيمُهـا يعني أنّه قد انتصرَ عليهم وأنّهم ليسوا قادرين علـى الدِّفـاع عنهـا وبالتّـالي ليسـوا أهلاً للقيادة ، ناهيك عن أنّه يمكن أنْ تكونَ لديـه بعـض الأفكـار الّـتي لا ترغـب بهذه المعتقدات ، ولو أنّه التزم بوجودها أخيراً بعد انتصاره . وهذا ربَّما يكـون من التّكتيك والتّمثيل والمراوغة .

إذ أنَّ ما يرمي إليـه ليـس هدفـاً دينيًّـا ، وإنّمـا هـدفٌ سياسـيٌّ . الغايـةُ منـه «التّملك والقيادة » .

ثانياً : بيئته :

عاش ورقةُ بن نوفل في مكّة ، ضمن أحيـاء قريـش ، تلـك الّـتي كـانت تعيـش حالة الكمون الاجتماعيِّ والسياسيِّ بانتظار المخاض الـذي سيسفرُ عـن الولادةِ

الجديدة ... التي ستخلّص المجتمع من براثن الظُّلم والذلِّ والعبوديَّة .

وكانت تضمُّ فئتين اجتماعيتين متناقضتين ، فئة الأغنياء وهُمُ القلّة ، وفئة الفقراء الأذلاَّء وهم الكثرَةُ الكثيرة .

وَهَبَ ورقةُ نفسَهُ لخدمةِ العلم ، والبحثِ عن الحقيقة ، شَحَذَ فكره بالاطّلاع على الثّقافات المتعدِّدة ، بعد استحواذه على فَهْمِ وممارسةِ أكثرِ مِنْ لغة .

ثالثاً : عائلته :

ولد نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ورقة بن نوفل ، وصفوان ، أمهما[1] هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي[2] فأما ورقة فلم يعقب[3] .

منهم من يقول : كانت قتيلة بنت نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، أخت ورقة بن نوفل[4] وكانت تنظر وتعتاف[5] وأما صفوان بن نوفل بن أسد ،

---

(1) نسب قريش 207 - 209 . والاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1991 م . وجمهرة أنساب العرب ، ابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط4 ، 1977 م ، وفيه ص120 : « ولد نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ورقة الذي تنصر وصفوان وعدي ولا عقب لورقة ولا لصفوان ولم يبق إلا من قبل الحسين بن عبد اللّه بن نوفل بن عدي بن نوفل ، إن كان بقي ولم يبق لنوفل بن أسد إلا هذا الجذم فقط » .

(2) نسب قريش ص207 ، وشعراء النصرانية ص616 ، وفيه : « بنت أبي كثير » مكان « بنت أبي كبير».

(3) نسب قريش ، وخزانة الأدب 363/3 ، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 271/2 .

(4) الطبقات الكبرى 95/1 ؛ وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير 7/2 ، وفيه : «أم قتال» مكان «قتيلة» ؛ وانظر السيرة الحلبية لابن برهان الحلبي شرحها وضبطها وعلق عليها محمد التونجي ، دار المعرفة ، دمشق ، ط1 ، 1989م «71/1» ، وفيه : «رقية» مكان «قتيلة» ؛ وانظر محمد رسول اللّه ﷺ ، محمد رضا ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ط2 ، 1938م ص ؛ وانظر عيون الأثر ، ابن سيد الناس ، ص23 - 24 ، وفيه : « على امرأة من بني أسد بن عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل » مكان «قتيلة» .

(5) الطبقات الكبرى 95/1 ؛ وأنساب الأشراف للبلاذري 93/1 ، وفيه : « وكانت تنظر في الكتب»=

فليس له عقب إلا من قبل بُسْرة[1] .

وعدي بن نوفل بن أسد أمه بنت جابر بن سفيان أخت تـأبط شـراً الفهمـي ، وكان عدي والياً لعمر أو لعثمان على حضرمـوت[2] . وبقيـة ولـد نوفـل مـن ولـد الحسين بن عبد اللّـه بن نوفل بن عدي ابن نوفل بن أسد[3] .

وصحَّ أن ورقة ابن عم النبي ﷺ فابن عم زوجته الصديقة الكبرى خديجـة رضي اللّـه عنها وقد أمر النبي بتعظيم من يدلي إليه بنسب ، وتعظيم أصحابـه رضي اللّـه عنهم وهو أولهم إسلاماً[4] .

وقيل : ولد نوفل بن أسد : ورقة بن نوفل بن أسـد الشـاعر صـاحب العلـم في الجاهلية[5] .

رابعاً : ولادة ورقة ووفاته :

بحثنا طويلاً في كُتب السِّير والأخبار ، لكـنْ لـمْ نعثرْ علـى أيِّ تـاريخٍ صريـحٍ لولادته . بينما وقفنا على مجموعةٍ من الأخبار المتناقضة لوفاته منها :

* كانت وفاة ورقة سنة 592 م[6] .

* مات ورقة في فترة الوحي ، رضي اللّـه عنه ، قبل نزول الفرائض والأحكام[7] .

- نقلاً عن الواقدي .

(1) نسب قريش ص209 ، وهي أم معاوية بن المغيرة بن أبي العـاص ، جـدة عائشـة بنـت معاويـة أم أبيها، وعائشة هي أم عبد الملك بن مروان .

(2) نسب قريش ص209 .

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(4) بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة . برهان الدين البقاعي الشافعي مخطوط صفحة 3ب.

(5) الاشتقاق ص164 .

(6) شعراء النّصرانيَّة 616 .

(7) خزانة الأدب 363/3 ؛ والمفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 207/9 ، وفيه : لـم توجد عبارة =

* يقول الزّركلي ، وفي وفاته روايتان : إحداهما الرَّاجحة ، وهي حديث البخاري « ثم لم ينشب ورقة أنْ توفي وفَتَرَ الوحي » . يعني بعد بدء الوحي بقليل . والثانية : عن عروة بن الزبير ، قال في خبر تعذيب «بلال» : كانوا يعذّبونه برمضاء مكّة ، يلصقون ظهره بالرَّمضاء لكي يشرك فيقول : أحدٌ أحدٌ ، فيمرُّ به ورقةُ وهو على تلك الحال فيقول : أحدٌ أحدٌ ، يا بلال وهذا يعني أنّه أدركَ إسلامَ بلال[1] .

* ويقول «الزّركلي» أيضاً : وعالج ابن حَجرٍ في «الإصابة» التّوفيق بين الرِّوايتين، فلم يأتِ بشيء[2] .

* وفي العمدة على لسان ابن رشيق[3] ، لم يدركِ البعثةَ ، وقيل : بلْ أدركَها في أوائِلها : نحو 12 ق.هـ = 611 م[4] .

* وفي السِّيرة الحلبيَّة : ثم لم يلبث ورقةُ أنْ توفي . قال سِبْط ابن الجوزي : وهو آخر من مات في الفترة . ودُفِنَ بالحجون . فلم يكنْ مسلماً ، ويؤكّده ما جاء في روايةٍ ، في سندِها ضعفٌ ، عن ابن عبَّاس رضي اللّه عنهما أنّه مات على نصرانيَّة . وهذا يدلُّ على أنَّ مَنْ أدرك النبوَّة وصدَّق بنبوَّته ﷺ ولم يدركِ الرِّسالة بناءً على تأخُّرها ، لا يكون مسلماً ، بل من أهل الفترة[5] .

* وفي السِّيرة الحلبيَّة أيضاً : ففي الإمتاع أنَّ ورقة مات في السَّنة الرابعةِ من المبعث،

- «رضي اللّه عنه » ؛ وكتاب الاختيارين 258 ، وفيه : لم توجد عبارة « رضي اللّه عنه » ؛ وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 271/2 .

(1) الأعلام 115/8 ، وانظر السِّيرة الحلبيَّة 422/1 - 423 ، والخزانة 364/3 .

(2) الأعلام 115/8 .

(3) حاشية العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه 96/1 .

(4) المرجع نفسه 96/1 ، وفيه : إشارة إلى الإصابة 633/3 ، والأعلام 131/9 ؛ والأعلام 114/8 .

(5) السِّيرة الحلبيَّة 420/1 .

ويوافقه ما يأتي عن سيرة « ابن إسحاق » وعن كتاب الخميس[1] .

* وفي « فتح الباري » أتى في سيرة « ابن إسحاق » : أن ورقة كان يمر ببلال رضي اللّه تعالى عنه وهو يعذب وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة ، وإلى أن دخل بعض الناس في الإسلام[2] .

* وفي كلام صاحب كتاب «الخميس» في الصحيحين أن الوحي تتابع في حياة ورقة ، وأنه آمن به[3] . ونحن نميل إلى القول : بأنه أدرك البعثة في أوئلها ووفاته نحو 12 قبل الهجرة . دليلنا على ذلك : عندما أتى الوحي محمداً ، ذهب إلى ورقة بن نوفل مع زوجته خديجة ، وشرح له ما هو فيه من خوف واضطراب ، فهدّأ ورقة من روعه ، وسأله في أمور خاصة جداً ، استدل منها أنه سيكون نبي هذه الأمة ، إذ قال له : « يا ليتني فيها جذع » أي أكون شاباً قوياً ، عندما ستكون البعثة . «ليتني أكون حياً ، إذ يخرجك قومك » وهذا تأكيد واعتراف منه بالضعف والوهن والشيخوخة . « وإن يدركني يومك أنصرك ، نصراً مؤزراً » وهذه إشارة واضحة تحتمل قبول إيمانه وإسلامه . ثم عمد إلى توثيق هذا الإيمان عبر أشعار رائعة . وهذا ما سنراه لاحقاً في الباب الثاني من هذه الرسالة .

خامساً : مكانته وسيرته :

ورقة بن نوفل ، من قريش ، حكيم جاهلي[4] ، لم يدرك البعثة ، وقيل : بل أدركها في أوائلها . ت : نحو 12 ق.هـ[5] .

---

(1) المرجع نفسه 420/1 .

(2) السيرة الحلبية 422/1 - 423 .

(3) المصدر نفسه 423/1 .

(4) انظر حاشية العمدة في محاسن الشعر وآدابه 96/1 ؛ والأعلام 115/8 .

(5) انظر حاشية العمدة في محاسن الشعر وآدابه 96/1 - نقلاً عن الإصابة 633/3 ؛ والأعلام 131/9 .

وهو الشاعر صاحب العلم في الجاهلية[1] له شعر ، سلك فيه مسلك الحكماء، ومن المؤرخين من يعدّه في الصحابة[2] .

وهو من أهل بيت محمد بن عبد اللّه ، ومن أوائل المؤمنين به ، ويعتبر من أهل الكتب والعلوم ، كما يصفه «السيوطي» في كتابه « تاريخ الخلفاء » عندما يقول: « قال ابن كثير : والظاهر أن أهل بيته ﷺ آمنوا قبل كل أحد : زوجته ، ومولاه زيد ، وزوجة زيد أم أيمن ، وعلي ، وورقة » .

وأخرج « ابن عساكر » عن عيسى بن زيد قال : قال « أبو بكر الصّدّيق » كنت جالساً بفناء الكعبة ، وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعداً ، فمرّ به « أميّة بن أبي الصّلت » ، فقال : كيف أصبحت يا باغي الخير ؟ قال : وهل وجدت ؟ قال: لا ، فقال من الخفيف :

كُـلُّ ديـنٍ يـومَ القيـامةِ إلاَّ   مـا مَضَى في الحنيفيَّةِ بُورُ

أمَا إنَّ هذا النَّبيِّ الّذي يُنتظر منّا أو منكم ، قال : ولم أكن سمعْتُ قبلَ ذلك بنبيٍّ يُنْتَظَرُ ويُبْعَثُ .

قال : فخرجت أريد « ورقة بن نوفل » ـ وكان كثيرَ النّظر إلى السَّماء ، كثيرَ همهمةِ الصَّدرِ ـ فاستوقفته ، ثم قَصَصَتُ عليه الحديث فقال : نعم يابن أخي إنّا أهلُ الكتب والعلوم ، ألا إنَّ هذا النّبيَّ الّذي يُنْتَظَرُ مِنْ أوسط العرب نسباً ـ ولي علم بالنّسب ـ وقومُك أوسط العرب نسباً .

قلت : يا عمِّ . وما يقول النّبيُّ ؟ قال : يقول ما قيل له . إلاّ أنّه لا يظْلِمْ ، ولا يُظلمْ ، ولا يُظالِمْ : فلمَّا بُعث رسول اللّه ﷺ آمنتُ به وصدّقْتهُ[3] .

---

(1) الاشتقاق ص164 .

(2) الأعلام 115/8 .

(3) تاريخ الخلفاء ، الإمام جلال السّيوطيّ تحقيق إبراهيم صالح ، دار البشائر ، دمشق ، ط1 ، 1997 م . ص51 - 52 .

وهناك من يعتبره مسلماً ... كونه بشَّر محمداً بالنُّبوَّة ... وآخرون ينفون عنه الإسلام ، ويعتبرونه من أهل الفترة لأنَّ وفاته تأخَّرت عن البعثة .

يؤيِّد ذلك ما ورد في السِّيرة الحلبيَّة ، وقول السِّراج البلقيني موافق للزَّين العراقيِّ : إنَّ أوَّل رجل أسلم ورقَةُ بن نوفل ، لقوله للنَّبيِّ ﷺ أنا أشهدُ أنَّك الَّذي بشَّر بك عيسى بن مريم ، وأنَّك على مثل ناموس موسى ، وأنَّك نبيٌّ مُرْسَل ، قد علمْتَ ما فيه ، وأنَّه إنَّما كان مِنْ أهل الفترة ، كما صرَّح به الحافظُ الذَّهبيُّ . وهو يردُّ القول المتقدِّم بأنَّ وفاة ورقة تأخَّرت عن البعثة .

فورقة ونحوه كبَحِيْرا ونَسْطُورا من أهل الفترة لا من أهل الإسلام . ويؤيِّده ما تقدَّم أنَّه بإجماع المسلمين لم يتقدَّم خديجةَ في الإسلام لا رجل ولا امرأة ، لكن هؤلاء من القسم الَّذي تمسَّك بدينٍ قبل نسخه . وآمن وصدَّق بأنَّه ﷺ الرَّسول المنتَظَر ، وذلك نافع له في الآخرة[1] .

وكان ممَّن حرَّموا الخمرَ على أنفسهم في الجاهليَّة على طريقة الأحناف .. كما أشار إلى ذلك د. جواد علي : وحرَّم قوم من الجاهليَّة الخمر على أنفسهم ، وأكثرهم ممَّن يسمَّون «الأحناف» منهم : « قيس بن عاصم المنقري ، وعامرُ بن الظَّرب العدوانيِّ ، وصفوان بن أميَّة بن محرث الكنانيِّ ، وعفيف بن معد يكرب الكنديِّ ، والأسلوم بن اليامي من همدان ، وقيس بن عديٍّ السَّهميِّ ، والعباس بن مرداس السّلميّ ، وسعيد بن ربيعة بن عبد شمس ، وورقة بن نوفل ، والوليد بن المغيرة وأبوه أميَّة بن المغيرة ، والحارث بن عبيد المخزومي ، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعامر بن جذيم الجمحي ، وأبو ذر الغفاري ، ويزيد بن حجونة الليثي ، وأبو واقد الحارث بن عوف الكناني ، وعمرو بن عنبسة ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وعبيد بن الأبرص ، وزهير بن أبي سلمى المزني ، والنابغة الذبياني والجعدي ، وحنظلة الراهب بن أبي عامر ، وقبيصة بن إياس الطائي ، وإياس

---

(1) السِّيرة الحلبيَّة 461/1 ـ 462 .

ابن قبيصة بن أبي غفر ، وحاتم الطائي وسويد بن عدي بن عمرو بن سلسة الطائي »[1] .

وكان من ندماء قريش . كما يقول د. جواد علي في المفصل : « وممن ذكرهم أهل الأخبار من ندماء قريش عبد المطلب بن هاشم ، كان نديماً لحرب بن أمية حتى تنافر إلى « نفيل بن عبد العزى » فلما نفر عبد المطلب افترقا وكان زيد بن عمرو بن نفيل نديماً لورقة بن نوفل »[2] .

إن الأحناف كانوا يكتبون ويقرؤون ، وبعض منهم كان يكتب بأقلام أعجمية، وكان قد وقف على كتب أهل الكتاب ، وكانوا أصحاب رأي ومقالة في الدين ، وفي أحوال قومهم ، وقالوا عن بعضهم مثل « ورقة بن نوفل » إنه يكتب الكتاب العبراني « فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب »[3] .

وقد ذكر الهمداني أن العرب كانت « تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب : صابئاً ، وكانت قريش تسمي النبي ﷺ أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن : صابئاً »[4] .

وورد في كتب أهل الأخبار أن الأحناف كانوا يقرؤون الكتب ، وتبحروا في التوراة والإنجيل ، ومنهم من وقف على لغة « بني إرم » وعلى العبرانية . ومن هؤلاء « ورقة بن نوفل بن أسد » ، « الشاعر صاحب العلم في الجاهلية وكان قد قرأ الكتب وتبحّر في التوراة والإنجيل ، وهو الذي لقيته خديجة في أمر النبي »[5] .

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 670/4 - 671 .

(2) المرجع نفسه 37/5 .

(3) المرجع نفسه 108/8 ، وفيه حاشية تشير إلى الأغاني 120/3 .

(4) المرجع نفسه والصفحة نفسها ، وفيه حاشية تشير إلى الإكليل 44/1 .

(5) المرجع نفسه 319/8 ، وفيه حاشية تشير إلى الاشتقاق ص102 .

وإن أكثر من نُسب إلى التوحيد ، أي من ينعتهم أهل الأخبار بالحنفاء ، كانوا يقرؤون ويكتبون ، وكانت عندهم كتب أهل الكتاب ، وإن أكثرهم كانوا أصحاب رأي وفكر في الخلق في هذا العالم .

ولكنهم لم يدخلوا في يهودية ولا في نصرانية لأنهم لم يجدوا في الديانتين شيئاً يفرج ويرفه عما يجول في رؤوسهم من آراء ومقالات عن الخالق والكون .

وقد جالس هؤلاء رجال اليهود والنصارى ، وتكلموا معهم في أمور عديدة من أمور الفكر والدين في جزيرة العرب وفي بلاد العراق وبلاد الشام ، وينسب لجندب بن عمرو بن حممه ، وهو من دوس أنه كان يقول في الجاهلية : إن للخلق خالقاً لا أعلم ما هو . ثم جاء إلى الرسول فأسلم .

وقد ذكرَ أنَّ ورقة بن نوفل ، وهو واحد من المذكورين ، كان قد قرأ الكتب وكتب بالعبرانيِّ أو السُّريانيِّ ، وأنَّه كتب بالسُّريانيَّة «العبرانيَّة» من الإنجيل ما شاء أنْ يكتب . وكان قد امتنعَ عن أكلِ ذبائحِ الأوثان[1] .

وقد مرَّ بنا أنَّ ورقة بن نوفل « كان يكتُبُ الكتابَ العبرانيَّ فيكتب بالعبرانيَّة مِنَ الإنجيل ما شاء أنْ يكتبَ »[2] .

ومع أنَّ هذا النَّص يشير إلى أنَّ التوراة والإنجيل كانا مكتوبين بالعبريَّة أو السُّريانيَّة[3] . وأنَّ بعض العرب كان يقرأُها بهذه اللُّغة فإنَّه ـ مع ذلك ـ لا ينفي أن هذيْن الكتابَيْن كانا يُكتبان بالعربيَّة ، وأنَّ بعض العرب كان يقرأُهما بهذه اللُّغة،

---

(1) المرجع نفسه 322/8–323 ، وفيه حاشية تشير إلى الأغاني 14/3 ، 120/3 ، 52/12 .

(2) مصادر الشِّعر الجاهليِّ وقيمتها التاريخيَّة ، ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، مصر ، 1956 م ، ص55 ـ وفيه حاشية تشير إلى الأغاني 120/3 ـ و ص61 .

(3) مصادر الشِّعر الجاهليِّ وقيمتها التاريخية ص61 ، وفيه حاشية تشير إلى : ذكر الأب لويس شيخو عند حديثه عن كتابة ورقة بالعبرانيَّة أنَّ «عبرانيَّة» ذلك العهد هي الآراميَّة أو السُّريانيَّة انظر كتابه النَّصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهلية ص157 .

فنحن نعلم أنَّ قبائل عربيَّة كاملة كثيرة العدد كانت تهوَّدتْ أو تنصَّرَتْ[1] فهل كان العرب لا يقرؤون كتبهم الدِّينيَّة ؟ .

أو هل كانوا يقرؤونها باللُّغة العبريَّة أو بغيرها من اللُّغات ؟ وهل من المعقول أنْ نفترضَ أنَّ هؤلاء كانوا حين يتهوَّدون أو يتنصَّرُون يشترط فيهم أن يتعلَّموا العبريَّة أو الآراميَّة ؟ الأقرب إلى المعقول أنْ نفترضَ أنَّهم كانوا يقرؤون كتبهم الدِّينيَّة مُتَرْجَمَةً إلى لغتهم العربيَّة . وليس هذا في الحقِّ فرضاً أو استنتاجاً لا تدعمه النُّصوص .

وإنَّما هو نتيجة أَمْلَتْها علينا ـ مع سلامة المنطق ـ شواهدُ من الرِّوايات : ففي حديث سُوَيْد بن الصَّامت أنَّه قال لرسول اللَّه ﷺ : لعلَّ الَّذي معك مثلَ الَّذي معي ! فقال : وما الَّذي مَعَكَ ؟ قال سويْد : مجلَّة لقمان[2] ، - يريد كتاباً فيه حكمةُ لقمانَ[3] ، فقال رسول اللَّه ﷺ : اعرِضْها عَلَيّ . فَعَرَضَها عليه فقال له : إنَّ هذا الكلام حَسَنٌ والَّذي معي أفضلُ من هذا ، قرآنٌ أنزله اللَّه تعالى ، هو هدًى ونور[4] .

ولا يغيب عن أذهاننا ما كان لاجتماع الشُّعراء في مكَّة وفي سوق عكاظ من أثر في حياة العرب الأدبيَّة ، كما لا نجهل أيضاً أنَّ كثيرين مِنْ هؤلاءِ الشُّعراء كانوا يجوبون البلاد ، فاتَّصلوا بالفرس عن طريق المناذرة ، وبالرُّوم عن طريق الغساسنة ، واتَّصلوا بالفرس والرُّوم معاً عن طريق التِّجارة .

كما أخذوا بعض الفِكَرِ الدِّينيَّة عن الْجَاليات اليهوديَّة وعن نساطرة الحِيْرة . وقد ظهر أثرُ تلك الأفكارِ في شعرِ الشُّعراء كقسٍّ بن ساعدة ، وأميَّة بن أبي الصَّلت.

---

(1) المرجع نفسه والصَّفحة نفسها ، وفيه حاشية تشير إلى ابن حزم ، وجمهرة أنساب العرب ص457 - 458 .

(2) المرجع نفسه والصَّفحة ص62 ، وفيه حاشية تشير إلى الزَّمخشريِّ ؛ والفائق 26/1 .

(3) المرجع نفسه والصَّفحة نفسها ، وفيه حاشية تشير إلى لسان العرب «جلل» .

(4) المرجع نفسه والصَّفحة نفسها ص62 ، وفيه حاشية تشير إلى سيرة ابن هشام 68/2 .

وفي خطب الخطباء وأقوال الحكماء من العرب مثل أكثم بن صيفي ، وورقة ابن نوفل[1] أما الأحاديث التي تقول « بتعذيب بلال » ومرور ورقة عليه وهو يقول « أحد أحد » فمتواترة وتكاد تكون حقيقة .

قال الزُّبير : حدَّثني ابن الضَّحَّاك بن عثمان عن عبد الرَّحمن بن أبي الزِّناد قال : قال عروة : كان بلال لجارية من بني جمح بن عمرو ، وكانوا يعذِّبونه برمضاء مكَّة، يلصقون ظهره بالرَّمضاء ليشرك باللّه فيقول : أحدٌ أحدٌ ، فيمرُّ عليه ورقة ابن نوفل وهو على ذلك يقول : أحد أحد ، فيقول ورقة بن نوفل : أحدٌ أحدٌ واللّه يا بلال ! واللّه لئن قتلتموه لأتّخذنّه حناناً[2] . كأنّه يقول : لأتمسَّحنَّ به . وقال ورقة في ذلك ... « لقد نَصَحْتُ لأَقْوَامٍ .. »[3] .

وبعضهم يقول : وهذا بلال مؤذّن رسول الله ﷺ الّذي ذاعَتْ شهرته باعتباره أوّلَ مؤذّن في الإسلام ومِنْ أعظم الفقهاء والمحدّثين وهو عبدٌ حبشيٌّ . وصَفَهُ الرَّسول بأنَّه أولُ ثمار الحبشة . وكان يقاسي أشدّ ألوان العذاب .

وكان خَلَف الجُمَحِيّ من مشركيِّ قريش يلقيه في الرَّمضاء على وجهه وظهره

---

(1) تاريخ الإسلام السِّياسي والدِّيني والثّقافي والاجتماعي ، حسن إبراهيم حسن ، دار إحياء التّراث العربيّ ، بيروت ، ط7 ، 1964 م ، ص67 .

(2) شرح اللّسان هذه العبارة في مادة «حنن» فقال : الحنان : الرَّحمة والعطف والحنان ، الرِّزق والبركة ، أراد لأجعلنَّ قبره موضعَ حنانٍ أي مظنّةٍ من رحمة اللّه تعالى فأتمسَّحُ به متبرّكاً كما يتمسَّح بقبور الصَّالحين الّذين قُتِلوُا في سبيل اللّه من الأمم الماضية . فيرجع ذلك عاراً عليكم وسبَّة عند الناس ، وضعف هذا الحديث بأنَّ ورقة مات قبل مبعث النبي ﷺ وبلال ما عذّب إلا بعد أنْ أسلمَ ، وهو ضعيف الإسناد لأنّه مرسل . وعروة تابِعيٌّ لم يدرك عصر النبوة .

(3) الأغاني 3/120-121 ؛ وانظر خزانة الأدب 3/393 ؛ وانظر نسب قريش 208 ؛ وانظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك 2/373 ؛ وانظر الأعلام 8/115 ؛ وانظر الكامل في التّاريخ 2/66 ؛ وانظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 2/271 ؛ وانظر طبقات فحول الشُّعراء ، محمَّد بن سلاّم الجمحيّ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، لا ط ، 1974 م . 2/795 .

إذا حَمِيَتِ الشَّمس وقت الظهيرة ، ثم يأمرُ بالصَّخرةِ الكبيرةِ فتلقى على صدره ، ويقول له : لا تزال هكذا حتّى تموتَ أو تكفُرَ بمحمَّد وتعبُدَ اللاَّت والعزَّى .

وكان ورقة بن نوفل يمرُّ وهو يقول أحد أحد ؛ فيقول أحد أحد واللّه يا بلال، ولَم يزل على هذا العذاب حتى اشتراه أبو بكرٍ وأعتقه[1] .

كما كان ورقة شاعراً ... وكانت أسماء بنت أبي بكر - أخت عائشة - ممَّن يُرْوَى عنها الشِّعر الجاهليّ ، فقد روى عنها عروةُ قصيدتيْن إحداهما لزيد بن عمرو بن نفيل والأخرى لورقة بن نوفل[2] .

وأورد كذلك ابن هشام عن ابن إسحاق أبياتاً نسبها إلى ورقة بن نوفل بن أسد[3] .

ومهما يكن من أمر ورقة سواء أكان مسلماً أم غير مسلم فإنه ذو حظوة رائعة لدى النبي ﷺ والدليل أنه قال لَمّا توفي ورقة : « لقد رأيت القس - يعني ورقة - في الجنة وعليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني » .

وعلى تسليم أنه لا يشترط في المسلم : أن يؤمن ويصدق برسالته ﷺ بعد وجودها ، بل يكفي ولو قبل ذلك . فليس ورقة بصحابي لأن الصحابي مَنْ آمن بالنبي ﷺ بعد الرسالة مؤمناً بما جاء به عن اللّه تعالى . أي محكوماً بإيمانه .

ومن ثم ردّ الحافظ الذهبي على ابن مندة ومن وافقه كالزين العراقي في عدِّه له من الصحابة . أي كما عدَّ منهم بحيرا ونسطورا . الأظهر أن مَنْ مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من أهل الفترة ، هذا الكلام للحافظ الذهبي .

---

(1) تاريخ الإسلام السِّياسيّ والدِّينيّ والثَّقافيّ والاجتماعيّ ص83 .

(2) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص337 ، وفيه حاشية تشير إلى الأغاني 124/3 - 125 ؛ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 286/9 ، وفيه حاشية تشير إلى الأغاني 124/3 وما بعدها .

(3) السيرة النبوية لابن هشام 192/1 .

والمراد بالرسالة : نزول « يا أيها المدثر » لا إظهارها ، ونزول قوله تعالى : «فاصدع بما تؤمر » بناء على تأخر الرسالة عن النبوة[1] .

بعد هذه الجولة الوثائقية .. سنلقي الضوء على بعض الأفكار الواردة فيها محاولين تحليلها وإبداء الرأي حولها ... منها :

1 ـ ما جاء به «السيوطي» في كتابه « تاريخ الخلفاء » عندما يصف «ورقة» بقوله : « وهو من أهل بيت محمد بن عبد اللّه ومن أوائل المؤمنين به ، ويعتبر من أهل الكتب والعلوم » .

لقد أشرنا سابقاً في بداية الفصل الأول من هذه الدراسة إلى أن « قصي بن كلاب » هو الجد الثالث «لورقة وخديجة» والجد الرابع «لمحمد بن عبد اللّه» ولم نحصل على ما يشير إلى قرابة غيرها . « فكيف يكون إذن من أهل بيت محمد » ؟ .

هناك أكثر من تصور للوقوف على حقيقة هذا البيت المزعوم .. إحداها .. ليس معنى البيت هنا القرابة الدموية النسبية ، وإنما القرابة المعنوية في حالتها الاجتماعية والفكرية .

وكلمة البيت هي من باب «المجاز» قد يكون المقصود منها «المدرسة» أو «المذهب» أو «الحركة» أو «المبدأ» استخدمها «السيوطي» للخلاص من التصريح بالعلاقة العقائدية بينهما .

يدلنا على ذلك ، ذكر كلمة «البيت» في معرض « الإيمان بما أتى به محمد » من جهة ، والاعتراف بأن « ورقة » من « أهل الكتب والعلوم » من جهة ثانية . خاصة ونحن نعلم أن ورقة هو الأكبر سناً .

ويستشف من هذا أيضاً أن اللقاءات بينهما كانت مستمرة ، وهذا ما أسعف لغة «المجاز» حتى يعتبر من « أهل البيت » .

---

(1) سورة المدثر : 1/74 . والحجر : 94/15 ، نقلاً عن السيرة الحلبية 462/1 .

ولطالَما كانت اللقاءات موجودة فلا بأس في التساؤل عن ماهية هذه اللقاءات ... هل كانت لقاءات عادية ، أم علمية ، أم سياسية ، أم دينية ؟ .

إنها المزيج منها جميعاً فورقة « من أهل الكتب والعلوم » و«محمد» لَم يعرف عنه ذلك قبل الأربعين من عمره ، إذن لا يمنع من أن يكون محمد قد اطلع على العلوم والأفكار التي يحملها أو يجمعها ورقة بن نوفل وأغلب الظن أن هذه الفترة كانت بعد زواجه من خديجة مباشرة ، لأننا لَم نسمع عن «محمد» أنه قام بأي عمل تجاري أو غيره بعد الزواج .

وإنما سمعنا أنه كان يذهب إلى غار حراء للتعبد على طريقة «الحنفاء» وهذا ما يدفعني لاعتبار غار حراء مكاناً مقدساً اختير لكي يكون ملتقى الفقراء المتنورين الخارجين على معتقدات الأغنياء وسلوكهم في اتجاهاتهم كافة .

واطلاعه أي « محمد » هذا جعل منه إنساناً استثنائياً لِما يتمتع به من رجولة ورجاحة عقل وذكاء وقّاد . وهذا ما كان يبغيه أي « ورقة » منه . الدليل على ذلك أن ورقة كان من أوائل المؤمنين به .

وما يؤيد ذلك أيضاً الفكرة الثانية التي تقول : « بذهاب أبي بكر الصديق » إلى ورقة للتأكد من صحة ما سمع على لسان زيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن أبي الصلت. من انتظار نبي ، وهذا النبي سيكون من قريش .

وهذا تأكيد واضح على أن ورقة هو المرجع العقلاني في تلك المرحلة ، والحكيم المعترف بعلو مكانته الاجتماعية بين قومه .

لكن كيف يكون ورقة عالِماً بما سيحصل ؟ وإذا ما كان يعلم حقيقته ، فمعنى ذلك أنه يعلم أكثر من النبي الذي لَم يتأكد من نبوءته إلا بعد بلوغه سن الأربعين .

ثم لماذا لَم يعلن ورقة إسلامه على طريقة «محمد» وهو القائل في أكثر من موقف أنه نبي هذه الأمة؟ وهذا يقودنا إلى احتمال وجود حلقة مفقودة في سلسلة «مسيرتهما» أغفلها الإخباريون وكتّاب السير .

2 ـ الفكرة الثانية : « وهنـاك مـن يعتـبره مسـلماً ، كونـه بشّـر محمـداً بـالنبوة وآخرون ينفون عنه الإسلام » .

هذه الزئبقية في الحكم على ورقة ليست علمية ، وإنّما وضعية مقصودة . الغاية منها ولسبب ما إبعاد شخصية ورقة من التاريخ عن شخصية محمد .

3 ـ الفكرة الثّالثة : تعذيبُ بـلالٍ ، ومـرور ورقــة عليـه وهــو يقــول « أحـدٌ أحدٌ » ... لماذا لـم يقفِ الإخباريُّون وكتّاب السِّير .. على حقيقة هذا الخـبر ؟ ثـمَّ لماذا لا يُقرُّون بوجودِهِ حيًّا إلى ما بعد الرِّسالة المحمَّديَّة ؟

أغلب الظّنِّ أنَّ هذا الخبر صحيح .. خاصَّة بعـد أنْ اطّلعنـا علـى الأشـعار الـتي قيلت بهذه المناسبة :

إنِّي نَصَحْتُ لأَقْـوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ   أَنَا النّـذِيْرُ فلا يـغـررْكُـمُ أَحَـدُ

وإذا ما اعترض قائل : إنَّ هذا الشّعر موضوعٌ أو منحـولٌ فنقـول لـه : إنَّ هـذا الوضعَ تأكيدٌ واضحٌ علـى أحقيَّـة ورقـة بـالوجود حيًّـا وبقـولِ الشّـعر .. لأنَّ هـذا الشّاعر الّذي يعطي شعرَهُ لإنسان آخر . لَم يعطِه إلاّ لقناعتِهِ المطلقة بهـذا الرَّجـل . وبالتّالي كان له أتباع لكنّهم كانوا قِلّة سرعان مـا انقرضـوا بعـد أن تغلّبـت عليهـم جماهيرُ المشركين وأصبحت مؤمنةً بالوافدِ الجديدِ كـي تبقـى محافظـةً علـى سـلطتِها وهيبَتها في المجتمع ...

سادساً : صفاتُهُ الاجتماعيَّة والدِّينيَّة :

كان ورقة قد كره عبادة الأوثان ، وطلب الدِّين في الآفاق ، وقرأ الكتب[1] ،

(1) خزانة الأدب 199/3 ؛ ونسب قريش ص207 ، وفيـه : « كـان قـد كـره » مكـان « كـان ورقة قد كره » ؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمـد ابن الجوزي ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطـا ، دار الكتـب العلميَّة ، بيروت ، ط1 ، 1992 م ، 373/2 ، وفيه : كما في نسب قريـش تمامـاً ؛ وكتـاب الاختيارين ص258 ، وفيه : « كان أحد من اعتزل الأوثان في الجاهليَّة » مكان « كان ـ

وامتنع من أكل ذبائح الأوثـان[1] ، وتنصَّـر في الجاهليَّـة[2] . وكـان يكتـب الكتـاب العبرانيَّ ، فيكتب من الإنجيل ما شاء أنْ يكتب[3] .

وتعدَّدت الآراء في الكتابة هـذه ... فجـاء في « صحيـح البخـاريِّ » أنَّ ورقـة : كان يكتب الكتاب العبرانيَّ ، فيكتب من الإنجيل بالعربيَّة ما شاء أنْ يكتب[4] .

وجاء في « صحيح مسلم » أنَّ ورقة كان يكتب الكتاب العربيَّ ، ويكتـب مـن الإنجيل بالعربيَّة ما شاء اللّـه أنْ يكتب[5] .

وجاء في «الأغاني» أنَّ ورقة امرؤ تنصَّر في الجاهليَّة ، وكان يكتب الكتاب

- ورقة قد كره عبادة الأوثان » وزيادة « وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان » ؛ وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 269/2 ؛ والأغاني 119/3 ، وفيه : كما في كتـاب الاختيـارين ؛ والمفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 702/9 ، وفيه زيـادة : « أنّـه كـان حنيفـاً علـى ملّـة إبراهيم » و « ذكر أنّه كان نصرانيًّا قد تتبع الكتـب وعلِـم مِـن علِـم النّـاس » ؛ وانظـر مـروج الذّهب للمسعوديّ 87/1 ؛ وانظر الأعلام 115/8 .

(1) انظر شعراء النّصرانيَّة قبل الإسلام ص616 ، وانظر الأعلام 115/8 .

(2) شعراء النَّصرانيَّة قبـل الإسـلام ص616 ، وتـاريخ الإسـلام ووفيـات المشـاهير والأعـلام ص118 ، وخزانة الأدب 38/2-41 ، وفي حاشية كتاب الاختيارين ص258 وخزانة الأدب أيضـاً 391/3 ؛ وانظر البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لاط ، 1990 م ، 296/2 ؛ وانظر عيون الأثر ص51 ؛ وانظر المفصَّل في تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام 702/9 ؛ وانظـر تـاريخ الطَّبريِّ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لاط ، لات ، 533/1 ؛ وانظر مروج الذّهـب 87/1 - 88 ؛ وانظر السِّيرة الجامعة من المعجزات اللاّمعة ، الشّيخ محمد بن يوسف أطفيش ، بنفقة وعناية الفاضل الجليل الشّيخ سالم بن سلطان بن قاسم الرّياحي بزنجبار ، المطبعـة السّلفيّة بمصـر ، القاهرة ، ط2 ، 1344 هـ ، ص117 .

(3) شعراء النَّصرانيَّة قبل الإسلام ص616 ؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشـاهير ص118 وفيـه : «الخـط العربيِّ » مكان « الكتاب العبرانيَّ » و « فكتب العربية مـن الإنجيـل مـا شـاء اللّـه أنْ يكتـب » مكان « فيكتـب بالعبرانيَّـة مـن الإنجيـل مـا شـاء اللّـه أن يكتـب » وفيـه حاشـية تقـول «اللّفـظ الصَّحيح» وكان يكتب الكتاب العبرانيَّ ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانيَّة ؛ وانظر الأعلام 115/8 .

(4) صحيح البخاري بشرح الكرماني 38/1 - 39 .

(5) صحيح مسلم 78/1 - 79 .

العبرانيَّ ، فيكتب بالعبرانيَّة من الإنجيل ما شاء أنْ يكتب[1] ؛ وقد تتبَّع الكتب ، وعَلِمَ مِنْ عِلْمِ النَّاس[2] ، وسَمِعَ مِنْ أهْلِ التَّوراةِ والإنجيل[3] .

وهذا يعني : أنَّه لم يتأثَّرْ بغالبيّةِ مجتمعهِ وقومه الوثنِّيين وإنَّما خرج على أفكارهم ومعتقداتهم ، وسرَّح عقله في آفاق العلم ، والثَّقافة . متنقّلاً من مكانٍ إلى آخر . باحثاً عن دين إبراهيم « دين الوحدانيَّة السَّمحة » .

كما لَم يقف عند مسألة الاطّلاع على الكتب العربيَّة ، وإنَّما تعدَّاها إلى الكتب الأجنبيَّة كالعبرانيَّة والفارسيَّة والسُّريانيَّة .

وجلس إلى حكماء متخصِّصين في كلٍّ من ديانتيْ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة ونظنُّ أنَّه عمل بالتأليفِ والتَّرجمة . لكنَّنا لَم نعثرْ على أيِّ دليلٍ كتابيٍّ واضح وملموس عنهما .

لَم يكن ورقة وحيداً في الخروج على عبادة الأوثان وطقوسها . إنَّما كان رابعَ أربعة تركوا الأوثان والميتة ، وما يذبح للأوثان وهم : عبد اللّه بن جحش ، وعثمان ابن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل[4] .

وجاء في المنتظم لابن الجوزي أنَّ زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ، ذهبا نحو الشَّام في الجاهليَّة ، يلتمسان الدِّين فأتيا على راهب . فسألاه عن الدِّين . فقال : إنَّ الدِّين الَّذي تطلبان ، لَم يجئ بعد . وهذا زمانه ، فإنَّ الدِّين يخرج من قِبَل تيماءَ ، فرجعا .

فقال ورقة : أمَّا أنا قائم على نصرانيتي حتَّى يبعث هذا الدِّين ، وقال زيد : أمَّا أنا فأعبدُ ربَّ هذا البيت حتَّى يبعث هذا الدِّين . ومات زيد ، فرثاه ورقة[5] .

وقيل أيضاً : أنَّه كان على دين موسى ، ثم صار على دين عيسى عليهما الصَّلاة

---

(1) الأغاني 114/3 .

(2) خزانة الأدب 391/3 ؛ وعيون الأثر ص51 ؛ والمفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 702/9 .

(3) تاريخ الطَّبريِّ 533/1 ؛ وانظر الاشتقاق ص164 .

(4) انظر تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام ص88 وما بعدها ؛ وانظر خزانة الأدب 418/6-419 ؛ وانظر السِّيرة الجامعة من المعجزات اللاَّمعة ص116 وما بعدها ؛ وانظر السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام 204/1 وما بعدها .

(5) انظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك 330/2 .

والسَّلام ، أي كان يهوديًّا ثم صار نصرانيًّا[1] .

ونصرانيته ، كانت تقوم على ما كانت تقوم عليه النَّصرانيَّة في تاريخ الكنيسة . حيث اشتهر مع رفاقه الثَّلاثة بتنصُّرهم وفق الواجبات ، والفروض النَّصرانيَّة المتّبعة في الكنيسة ، والمعرفة في مقرَّرات مجمع أورشليم الرَّسولي المعقود سنة 49 ميلاديَّة . وهي تقوم على « الامتناع عن نجاسات الأصنام ، والفحشاء ، والمخنوق ، والدَّم »[2] .

كما تقوم على الأخذ بناموس موسى وإنجيل عيسى على السَّواء ، وعلى الختان والمعموديَّة معاً ويزعُم «الحريريُّ» في العصر الحديث ، أنَّ نصرانيَّة ورقة وزملائه الثّلاثة الآخرين تختلف ، على ما يبدو ، عن نصرانيَّة مقررات « مجمع أورشليم » وتعاليمه المنسوبة إلى « يعقوب الرَّسول » فنصرانيَّة «يعقوب» تؤمن بألوهيَّة المسيح وبنوَّته للّه ، وتحتكم بأحكام الإنجيل وتعاليمه ، وتعتقد بصلب عيسى وقيامته من بين الأموات .

في حين أنَّ نصرانيَّة «ورقة» وزملائه ، تنكر ألوهيَّة المسيح وبنوَّته للّه إنكاراً مباشراً ، وترفض قيامته وصلبه رفضاً قاطعاً ، وذلك على ما يظهر ، تبعاً لشيعة في النَّصرانيَّة معيَّنة انتهى إليها ورقة ومعظم قبيلة قريش ، واعتنقوها ، وأقاموا فرائضها ، وموجباتها وهي « الشِّيعة الأبيونيَّة »[3] . وقيل عن ورقة أيضاً : أنَّه كان «قسًّا» ، والقسُّ « رئيس النَّصارى »[4] .

ويشير كتاب « قصة الدِّيانات لسليمان مظهر » إلى اعتناق «ورقة» لليهوديَّة. عندما يورد خبر نزول الوحي فيقول : « ولم يكن محمَّد يعرف القراءة أو الكتابة، ولكنَّه بعد زواجه من خديجة ، كثيراً ما كان يستمعُ إلى « ورقة بن نوفل » ابن عمِّ زوجته ، وهو يتلو التوراةَ بعد اعتناقهِ اليهوديَّة[5] .

---

(1) انظر سيرة ابن هشام 203/1 .

(2) انظر قسٌّ ونبيٌّ ص19 ، وفيه إشارة إلى سفر أعمال الرُّسل 20/15 و 29 ، 725/21 .

(3) المرجع نفسه والصَّفحة نفسها .

(4) السيرة الحلبيَّة 363/1 .

(5) قصَّة الدِّيانات ، سليمان مظهر ، دار الرُّقي ، ط1 ، 1984 م ، ص447 .

وتؤكّدُ « السِّيرةُ الحلبيَّة » على أنّـه « لم يـدركِ البعثـة » وكـان ممّـنْ دخـل في النّصرانيَّة . أي بعد دخوله في اليهوديَّة[1] .

ويميل كتـاب النّزعـات الماديَّـة في الفلسـفة الدِّينيَّـة الإسـلاميَّة إلى التزامـه بديـن الحنفاء نقلاً عن : المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام[2] .

ويرى اليعقوبيٌّ في تاريخه : إنَّ النّصرانيّة قد وصلت إلى مكّة ، ووجدت من قريـش مَنْ نُسب إليه التّنصُّر ، وأبرز هؤلاء : عثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل[3] .

نستخلص مِنْ ذلك ، أنَّ ورقة بن نوفل ، رجل متوقّد الفكر ، حادُّ الذّكاء ، نَظَرَ إلى الكون بعقلِهِ المتحرِّر ، ولَم يتفاعل مـع غالبيـة مجتمعـه بالعاطفـة ، وإنّمـا استخدم المنطـق والحكمـة في تبصُّره الاجتمـاعيِّ والدِّيـنيِّ . واطّلـع علـى معطيـات الثّقافـة ومدلولاتها في عصره ، وتفهَّم الأديان الموجودة فيه جميعها ، حتى ظُنَّ أنّـه يهـوديٌّ أو نَصْرَانِيٌّ أو حَنِيْفِيٌّ .

وفي الحقيقة ، لا يمكن أنْ يوصفَ إلاّ بالرَّجل الحكيمِ العاقلِ الّذي يريد لمجتمعـه أنْ ينسلخَ عمَّا هو فيه من إشراكٍ باللّـه ، وعبوديَّةٍ للوثنيَّـةِ الّـتي لا تضـرُّ ولا تنفـع . من أجل ذلك ، نـذر نفسه للاطّلاع على العلوم وتعليمها ، وتوثيق ما يصل إليه فكريًّا ، سواء عن طريق التَّرجمة ، أو التّأليف .

أمّا ديانته ... فلم تكن اليهوديَّةَ أو النّصرانيَّة ، وإنّما كانت مزيجاً من الدِّيانـات والمعتقدات كافّة . لكنّها تعتمدُ على الوحدانيَّة المطلقة . تلـك الّـتي دفعتـه لينتسبَ إلى حركةِ «الحنفاءِ» تلك الحركة الّتي بدأتْ ملامحُها منذ قصيٍّ بن كـلاب مؤسِّس دولة قريش .

وهذا الالتزام الدِّينيّ فكرة أكمـل مدلولهـا ، وتوسَّـع في معانيهـا ، سيدنا محمَّـد ﷺ ، حتّى غدت ديناً عصرياً ، تنصهر فيه تعاليم الأديان كافّة .. أُطلق عليها دين «الإسلام».

---

(1) انظر السِّيرة الحلبيَّة 219/1 ـ 242/1 .

(2) راجع النزعات الماديَّة في الفلسفة الدِّينيَّة الإسلاميَّة 310/1 .

(3) انظر تاريخ اليعقوبيِّ 298/1 .

الفصل الثّالث

الرّوابط الاجتماعيَّة الّتي تربط ورقة بالرّسول ﷺ

أولاً : علاقةُ ورقة بخديجة بنت خويلد :

مَنْ هي خديجة ؟ هي خديجةُ بنت خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصيٍّ بن كلاب[1] . زوج النّبيِّ ﷺ [2] ، لحًّا[3] . وأمّ بنيه[4] ، أمّها فاطمة بنت زائدة ابن جندب ، وهو الأصمُّ[5] .

أكّدت غالبيَّة كتب السِّير والأخبار أنَّ ورقة بن نوفل ابن عمِّها[6] ، وانفراد ابنُ هشام في سيرته ؛ نقلاً عن ابن إسحاق بأنّه عمُّها[7] .

قيل : كانت خديجة بنت خويلد ، قبل أنْ يتزوجَها أحدٌ ، قد ذُكِرَتْ لورقة بن

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 189/1 ، ونسب قريش ص20 ، وجمهرة أنساب العرب ص16 ، والخزانة 362/3 .

(2) مروج الذّهب 87/1 ؛ والمعارف ص59 .

(3) مروج الذّهب 87/1 .

(4) نسب قريش ص20 .

(5) المصدر نفسه ص20 - 21 .

(6) كتاب الاختيارين ص258 ؛ ومروج الذّهب 87/1 ؛ والمعارف ص59 ؛ والسِّيرة النبويَّة لابن هشام 153/1 - 222/1 ؛ والبداية والنّهاية لابن كثير 296/2 ؛ والأعلام 115/8 ؛ والإصابة في تمييز الصَّحابة 317/6 ؛ والكامل في التّاريخ 48/2 ؛ وتاريخ الطّبريِّ 531/1 - 298/2 ؛ والروض الأنف 74/1 ؛ ونهاية الأرب 16/ 171 .

(7) سيرة ابن هشام 216/1 .

نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ ، فلمْ يُقْضَ بينهما نكاح[1] .

تزوَّجها أبو هالة واسمُه هند . وقيل مالك بن النّباش ، فولدت له هند ، وهالة وهما ذكران . ثم خَلَفَ عليها بعد عتيق بن عائذ المخزومي . ثم تزوَّجها رسولُ اللّه[2] ﷺ .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكَرَتْ لورقة[3] بن نوفل بن أسد بن عبد العزَّى ، وكان ابن عمِّها ، وكان نصرانيًّا قد تتبَّع الكتب وعَلِمَ مِنْ عِلْمِ النّاس ما ذَكَرَ لها غلامُها ميْسَرة مِنْ قول الرَّاهبِ ، وما كان يرى منْه إذْ كان الملكان يظلاَّنه ؛ فقال ورقة : لِئنْ كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال : فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول : حتى متى ؟ !

فقال ورقة في ذلك[4] :

لجحت وكنت في الذكرى لجوجا ... لهم طالما بعث النّشيجا

وكانت خديجة أيضاً تسأله عن أمر النبي[5] ﷺ . فيقول لها : ما أراه إلا نبي هذه الأمة الذي بشرّ به موسى وعيسى[6] . وعندما ذكرت له شيئاً من أمره قال :

---

(1) الطّبقات الكبرى 14/8 ؛ وانظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك 315/2 - 316 .

(2) انظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك 315/2 - 316 .

(3) سيرة ابن هشام 227/1 ، « أمُّ ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصيّ . ولا عقب لورقة هذا. وهو أحد من آمن بالنّبيِّ ﷺ قبل البعث » ؛ وانظر البداية والنهاية 296/2 ؛ وانظر عيون الأثر ص51 .

(4) سيرة ابن هشام 227/1 - 228 ؛ وسيرة ابن هشام 216/1 . وانظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 269/2 - 270 .

(5) نسب قريش ص207 ؛ وخزانة الأدب 365/3 ؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك 315/2 ـ 316 .

(6) خزانة الأدب 391/3 ؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك 315/2 - 316 .

إنه يأتيه النّاموس الأكبر الذي كان يأتي موسى[1] .

كما بشرّها بأنه نبي هذه الأمة ، وأنـه سيؤذى ويكـذّب[2] . فهـي تجتمـع مـع «الرسول» في قصي ؛ ولَم يتزوج الرسول من ذريـة قصـي غيرهـا إلا أم حبيبـة[3] . وهي أقرب نسائه إليه في النّسب .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة . ذات شرف ومال. تستأجر الرجال في مالها . وتضاربهم[4] إياه بشيء تجعله لهم .

فلمَّا بلغها عن رسول اللّـه ﷺ ما بلغها ، من صدق حديثـه ، وعظِـمَ أمانتـه . وكرم أخلاقه ، بعثـت إليـه فعرضـت عليـه أن يخـرج في مـال لهـا إلى الشـام تـاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال لـه ميسـرة ، فقبلـه رسول اللّـه ﷺ منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامهـا ميسـرة حتـى قـدم الشام .

فنزل في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب[5] من الرهبان . فاطلع الراهـب إلى ميسرة فقال له : من هذا الرجل ؟ الذي نزل تحت هـذه الشـجرة ! فقـال ميسـرة : هذا رجل من أهل الحرم ؛ فقال له الراهب : مـا نـزل تحـت هـذه الشـجرة قـط إلا نبي[6] .

ثم باع رسول اللّـه ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة . فكان ميسرة ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهـاجرة واشتدّ الحرُّ ، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره .

---

(1) المعارف ص59 ؛ وانظر الطبقات الكبرى 195/1 .

(2) مروج الذهب 87/1 ؛ وانظر الاشتقاق ص154 .

(3) السيرة الحلبية 245/1 « على لسان ابن حجر » .

(4) سيرة ابن هشام 224/1 .

(5) وكان اسم هذا الراهب نسطورا ، وليس هو بحيرا ، سيرة ابن هشام 224/1 - 225 .

(6) يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي ؛ سيرة ابن هشام 225/1 .

فلمَّا قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريباً[1] ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد اللّه بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول اللّه ﷺ فقالت له : يا بن عمِّ إنِّي قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها .

وكانت خديجة يؤمئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه[2] .

ويقال : إن السبب في عرض خديجة رضي اللّه تعالى عنها نفسها عليه ﷺ مع ما أراد اللّه تعالى بها من الخير . ما ذكره ابن إسحاق . قال : كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد ، فاجتمعن يوماً فيه ، فجاءهن يهودي وقال : أيا معشر نساء قريش إنه يوشك فيكنّ نبي قَرُب وجوده ، فأيتكنَ استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل ، فحصبته النساء ، أي : رمينَه بالحصباء ، وقبَّحنه وأغلظن له ، وأغضت خديجة على قوله ، ووقع ذلك في نفسها .

فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هي : أي وما قاله لها ورقة لما

---

(1) سيرة ابن هشام 25/1 . وروى الزرقاني عن الواقدي وابن السّكّيت في اختيار خديجة لرسول اللّه ﷺ ؛ أن أبا طالب قال : يا بن أخي ، أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان علينا ، وألحت علينا سنون مبكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث رجالاً من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك ، وإن كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من اليهود ؛ ولكن لا نجد من ذلك بداً ؛ فقال ﷺ لعلها ترسل إليَّ في ذلك ؛ فقال أبو طالب : إني أخاف أن تولي غيرك . فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له . ثم كان أن أرسلت إليه ، لعلمها قبل هذا بصدقه وأمانته .

(2) سيرة ابن هشام 225/1 - 226 .

حدثته بما حدثها به ميسرة . قالت : إن كان ما قاله اليهودي حقاً . ما ذاك إلا هذا[1] .

وتزوجها رسول اللّه ﷺ وهي يومئذ بنت أربعين سنة . قال : وقيل : خمس وأربعين سنة . وقيل : ثلاثين ، وقيل : ثمان وعشرين ، وقيل : خمس وثلاثين ، وقيل خمس وعشرين[2] .

وهناك رواية تتحدث عن زواجها تقول : إن خديجة قالت للنبي : اذهب إلى عمك فقل له : تعجّل إلينا بالغداة . فلما جاءها ومعه رسول اللّه . قالت له : يا أبا طالب تدخل على عمي فكلّمه يزوجني من ابن أخيك محمد بن عبد اللّه . فقال أبو طالب : يا خديجة لا تستهزئي .

فقالت : هذا صنع اللّه ، فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه إلى عمِّها ، وفي رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر ، كما حضر أبو بكر رضي اللّه عنه ذلك العقد[3] .

وخطب أبو طالب يومئذ فقال : « الحمْدُ للّه الّذي جعلنا من ذرِّية إبراهيمَ وَزَرْعِ إسماعيل ، وضئضِئْ مَعَدّ : أي معدنُه ، وعنصرُ مُضَرٍ ، أيْ : أصْلُه ، وجعَلَنا حُضْنَة بيْتِه . أيْ المتكّفلِيْن بشأنِه ، وسُوَّاسِ حَرَمِهِ : أيْ القائِميْنَ بِخِدْمَتِه، وجَعَلَهُ لنا بيتاً مَحْجُوْجاً وَحَرَماً آمناً ؛ وجعَلَنا حكّام النّاس ثمَّ إنَّ ابنَ أخي هذا محمَّد بن عبدِ اللّه لا يُوزَنُ بِهِ رجلٌ إلاّ رَجَحَ بِهِ شَرَفاً ونُبْلاً وفَضْلاً وعَقْلاً .

وإنْ كانَ في المال فإنَّ المال ظلٌّ زائل ، وأمرٌ حائل ، وعاريةٌ مسترجعة . وهوَ واللّهِ بعد هذا له نبأٌ عظيمٌ ، وخطرٌ جليلٌ .

---

(1) السيرة الحلبية 1/248 - 249 .

(2) المرجع ذاته 1/249 .

(3) انظر محمد رسول اللّه ﷺ ، محمد رضا ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ط2 ، 1938م ، ص40 - 41 .

وقد خَطَبَ إليكم رغبةً في كريمَتِكم خديجة ، وقد بذَل لها من الصُّداق ما عاجلُه وآجلُه اثنتيْ عشْرَة أوقيَّةً ونَشًّا . أيْ وهو عشرونَ درهماً ، والأوقية أربعون درهماً ، وكانت الأواقي والنَّشُّ من ذَهَبٍ كما قال المحبّ الطَّبريّ . فيكون جملة الصُّداق خمسُ مئةٍ درهم شرعيٍّ . وقيلَ أصْدَقَها عشرينَ بكْرَةً .

قال النَّوويّ : وعند ذلك قال عمُّها عمرو بن أسد : هو الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنفهُ وأنكَحَها منْهُ . وقيل : قائلُ ذلك ورقةُ بنُ نوفل .

ثمَّ إنّه بعد أنْ خطبَ أبو طالب بما تقدّم خطبَ ورقةُ بن نوفل فقال : الحمد للّه الّذي جعلنا كما ذَكَرْتَ ، وفضَّلنا على ما عدَّدْتَ ، فنحنُ سادةُ العربِ وقادتُها ، وأنتمْ أهلُ ذلكَ كلّه لا ينكرُ العربُ فضلَكُمْ ، ولا يردُّ أحدٌ منَ النّاس فخرَكم وشرفكم .

ورغبنا في الاتّصال بحبلكم وشرفكم . فاشهدوا عليَّ معاشرَ قريش إنّي قد زوّجْتُ خديجةَ بنت خويلد من محمّد بنِ عبد اللّه وذَكَرَ المَهْرَ ، فقال أبو طالب : قد أحببْتُ أنْ يشركَكَ عمُّها .

فقال عمُّها : اشهدوا عليَّ معاشرَ قريش أنيِّ قد أنكحْتُ محمّد بن عبد اللّه خديجةَ بنت خويلد .

وأولَمَ عليها ﷺ ونَحرَ جَزُوْراً ، وقيلَ جَزُوْرَيْن ، وأطعَمَ النّاس ، وأمرَتْ خديجةُ جواريها أنْ يرقُصْنَ ويضربْنَ الدُّفوفَ ، وفرح أبو طالب فرحاً شديداً ، وقال : الحمدُ للّه الّذي أذْهَبَ عنّا الكَرْبَ ، ودفعَ عنّا الغموم ، وهيَ أوَّلُ وليمةٍ أوْلَمَها رسولُ اللّه[1] ﷺ .

وقيل في زواجهِ من خديجة أيضاً : فلمَّا قالت ذلكَ لرسولِ اللّه ﷺ ذَكَرَ لأعمامِهِ فخرجَ معه عمُّه حمزة[2] بن عبد المطّلب رحمه اللّه حتّى دخل على

---

(1) السِّيرة الحلبِّية 247/1 - 248 .

(2) سيرة ابن هشام 226/1 . ويقال إنَّ الّذي نهض معه ﷺ هو أبو طالب ، وهو الذي خطب خطبة=

خويلد[1] بن أسد فخطبها إليه ، فتزوَّجها .

قال ابن هشام : وأصدقَها رسولُ اللّه ﷺ عشرينَ بكرة ، وكانَتْ أوَّلَ امرأةٍ تزوَّجها رسولُ اللّه ﷺ ولَم يتزوّجْ غيرَها حتّى ماتَتْ رضي اللّه عنها[2] .

ثانياً : علاقة ورقة بمحمَّد بن عبدِ اللّه :

تقديم :

قبلَ الحديث عن العلاقة بين كلٍّ من « ورقة وخديجة ومحمَّد » لابدّ من الوقوف على بعض الأخبار الّتي تناولتها كتب السِّيرَ كـ« نَذْرِ عبد المطّلب ذبح ولدِهِ » و « ذِكْرِ المرأة المتعرِّضة لنكاح عبد اللّه بن عبد المطَّلب » و « افتقاد حليمة السَّعدية لمحمَّد بن عبد اللّه حين رجوعها به ، وإعادة ورقة بن نوفل له من شعاب مكّة » .

ثم بعثة الرَّسول ﷺ ، ثم علاقة « ورقة بالرَّسول ﷺ » . لنصل بعدها إلى التّمازج الاجتماعيِّ والفكريِّ بين «ورقة» و «الرَّسول» ونتيجة هذه العلاقات .

1 ـ نَذْرُ عبدِ المطَّلب ذَبْحَ ولده[3] :

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطَّلب بن هاشم ـ فيما يزعمون واللّه أعلم ـ قد

ـ النّكاح . وقيل : لعلّهما خرَجَا معه جميعاً وخطَبَ أبو طالب الخطبةَ ، لأنّه كان أسنَّ من حمزة . راجع شرح المواهب والرَّوض .

(1) ذكر الزُّهْريُّ أنَّ خويلداً أبرم هذا الزَّواج ، وهو سكران ، فلمَّا أفاق أنكر ذلك ثم رضيَهُ وأمضاه وفي ذلك يقول راجز مكّة :

لا تزهدي خديْجُ في محمَّدْ نَجْمٌ يضيءُ كإضَاءِ الفَرْقَدْ

وذكرَ غيرُ ابن إسحاق أنَّ خويلداً كان إذ ذاك قد هَلَكَ ، وأنَّ الذي أنكحَ خديجةَ رضي اللّه عنها هو عمُّها عمرو بن أسد . كما يقال أيضاً : إنَّ الذي أنكحها هو أخوها عمرو بن خويلد. راجع شرح المواهب والرَّوض وسيرة ابن هشام 226/1 .

(2) سيرة ابن هشام 227/1 .

(3) سيرة ابن هشام 188/1 وما بعدها .

نذر حين لقي من قريشٍ ما لقي عند حفر زمزم ، لئن ولد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتّى يمنعوهُ ، لينْحَرَنَّ أحدَهُم للّـه عندَ الكعبة .

فلمَّا تَوافى بَنوهُ عشرةً ، وعرفَ أنّهم سيمنعونَهُ ، جَمَعَهمْ ثمَّ أخبرهُمْ بنذرِهِ ، ودعاهُمْ إلى الوفاءِ للّـه بذلك ، فأطاعُوهُ وقالوا : كيف نصْنَعُ ؟ قال : ليأخذْ كلُّ رجلٍ منكم قِدْحاً ثم يكتب فيه اسمَه ، ثم ائتوني .

ففعلوا ثمّ أتوه ، فدخلَ بِهم على هُبَلٍ في جوفِ الكعبة ، وكان هُبَلُ على بئرٍ في جوفِ الكعبة ، وكانت تلك البئر هي الّتي يُجمعُ فيها ما يُهْدى للكعبة ؛ وكان عند هبل قداحٌ سبعةٌ ، كلُّ قِدْحٍ منها فيه « كتاب . قِدْحٌ فيه » «العقلُ»[1] إذا اختلفوا في العقل مَنْ يحملُهُ منهم ، ضربُوا بالقداح السَّبعة[2] ، فإن خرج العقلُ فعلى مَنْ خرج حَمْلُهُ .

وقدح فيه «نَعَم» للآمر إذا أرادوه يُضرب به في القداح ، فإن خرج قدح «نعم» عملوا به ، وقِدْحٌ فيه «لا» إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح ، فإن خرجَ ذلك القِدْحُ لم يفعلوا ذلك الأمرَ ؛ وقِدْحٌ فيه «منكم» ؛ وقِدْحٌ فيه «مُلصق» .

وقِدْحٌ فيه «من غيركم» ؛ وقِدْحٌ فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أنْ يختنوا غلاماً ، أو يُنكحوا منكحاً ، أو يدفنوا ميِّتاً ، أو شكُّوا في نَسَبِ أحدهمِ ، ذهبوا به إلى هُبل وبمئة درهمٍ وجزور ، فأعطوْهَا صاحبَ القداح الذي يضرب بها ، ثم قرَّبوا صاحبَهم الّذي يريدون به ما يريدون ، ثمَّ قالوا : يا إلهنا ، هذا فلانُ بن فلان قد أردْنا به كذا وكذا فأخرجِ الحقَّ فيه .

---

(1) العقل : الدِّيَة .

(2) ويروى أنّهم كانوا إذا قصدوا فعلاً ضربوا ثلاثة أقداح ، مكتوب على أحدها : أمرني ربي ، وعلى الآخر : نهاني ربي ، والثّالث غفل . فإن خرج الآمر مضوا على ذلك ، وإن خرج النّاهي تجنّبوا عنه . وإنْ خرج الغفل أجالوها ثانية . ولعلّهم كانوا يستعملون الطّريقتين .

ثم يقولون لصاحب القداح : اضربْ فإنْ خرجَ عليه «منكم» كان منهم وسَيْطاً[1] ، وإنْ خرج عليه « من غيركم » كان حليفاً ؛ وإنْ خرج عليه «مُلْصَق» كان على منزلته فيهم ، لا نسب له ولا حلف ؛ وإنْ خرج فيه شيء ، مِمَّا سوى هذا مِمَّا يعملون به «نعم» عملوا به ؛ وإنْ خرج «لا» أخّروهُ عامَهُ ذلك حتّى يأتوه به مرَّةً أخرى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك ممَّا خرجَتْ به القِدَاح[2] .

فقال عبد المطَّلب لصاحب القداح : اضرب على بنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه وأخبرهُ بنذرِهِ الَّذي نذر ، فأعطاه كلُّ رجلٍ منهم قدحهُ الَّذي فيه اسمه ، وكان عبد اللّه بن عبد المطَّلب أصغر بني[3] أبيه ، كان هو والزُّبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهْر . قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم[4] .

قال ابن إسحاق : وكان عبد اللّه ـ فيما يزعمون ـ أحبَّ ولد عبد المطَّلب إليه ،

---

(1) وسيطاً : خالص النّسب فيهم ، ويقال : إنَّ الوسيط هو الشّريف في قومه ، لأنَّ النّسب الكريم دار به من كل جهة ، وهو وسط .

(2) وقد عرض ابن هشام في السيرة 152/1 ، والألوسي في كتابه بلوغ الأرب في أحوال العرب 70/3 — 75 للكلام على القداح بإسهاب وتفصيل فارجعْ إليهما .

(3) الظَّاهر أنَّه يريد أن عبد اللّه كان أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ، أو لعلَّ الرِّواية : « أصغر بني أمّه » . وإلاَّ فالمعروف أنَّ حمزة كان أصغر من عبد اللّه ، والعَّباس كان أصغر من حمزة، وقد ذكر عن العباس رضي اللّه عنه أنه قال : أذكر مولد رسول اللّه ﷺ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها ، فجيء بي حتى نظرت إليه ، وجعل النّسوة يقُلْنَ لي : قبّلْ أخاك ، قبّلْ أخاك ، فقبلتُهُ . وفي هذا دليل على أنَّ عبد اللّه ليس أصغر أولاد عبد المطّلب ، راجع الرّوض الأنف .

(4) وهذا الرَّأي ـ رأي ابن هشام ـ هو الأصحُّ فقد ذكر الزُّبيريُّون أنّ «عبداً» هو أخو عائد بن عمران ، وأنّ بنت عبد هي صخرة امرأة عمرو بن عائذ ، على قول ابن إسحاق ، إنّ عائذ: هو ابن عبد ، تكون صخرة عمّة لعائذ ، وعلى قول ابن هشام بنت عمّه . راجع الرّوض الأنف .

فكان عبد المطّلب يرى أنَّ السَّهم إذا أخطأهُ فقد أشوى[1] ، وهو أبو رسول اللّه ﷺ .

فلمَّا أخذَ صاحبُ القداح القداح ليضرب بها ، قام عبد المطّلب عند هُبل يدعو اللّه ، ثم ضرب صاحبُ القداح ، فخرج القدحُ على عبد اللّه ، فأخذه عبد المطّلب بيده وأخذ الشَّفرةَ ، ثمَّ أقبل به إلى إسافٍ ونائلة ليذبحهُ .

فقامَتْ إليه قريشٌ وبنوه : واللّه لا تذبحهُ أبداً حتى تعذرَ فيه . لئنْ فعلْتَ هذا لا يزال الرَّجلُ يأتي بابنه حتَّى يذبحهُ ، فما بقاءُ النَّاس على هذا !! وقال له المغيرةُ ابن عبد اللّه بن عمرو[2] بن مخزوم بن يقظة ، وكان عبد اللّه ابن أختِ القَوْمِ : واللّه لا تذبحه أبداً حتَّى تُعذرَ فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه .

وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز ، فإن به عرافة[3] لها تابع فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرجٌ قبلته .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقصّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره فيه ؛ فقالت لهم : ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله .

فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها ، قام عبد المطلب يدعو اللّه ، ثم غدوا عليها ، فقالت لهم : قد جاءني الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا عشر من الإبل ، وكانت كذلك[4] .

---

(1) أشوى : أبقى ، يقال : أشويت من الطعام : إذا أبقيت .

(2) كذا في أكثر الأصول وابن الأثير ، وفي الطّبريِّ : «عمر» .

(3) يقال إن اسم هذه العرافة : قطبة ، وقيل : بل اسمها سجاح .

(4) من هنا ترى الدِّية كانت عندهم عشرة من الإبل ، ويكون عبد اللّه على هذا هو أول من جعلها مئة من الإبل . والمعروف أن أول من ودى بالإبل من العرب زيد بن بكر بن هوازن حين قتله أخوه معاوية جد بني عامر بن صعصعة عن «الروض الأنف» ، وكتاب الأوائل لأبي هلال العسكري 22/1 .

قالت فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبكم ، وقرّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه ، فقد رضي ربكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام عبد المطلب يدعو اللّه ، ثم قربوا عبد اللّه وعشراً من الإبل ، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو اللّه عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد اللّه ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين .

وقام عبد المطلب يدعو اللّه عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد اللّه ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو اللّه ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبد اللّه ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين .

وقام عبد المطلب يدعو اللّه ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبد اللّه ؛ فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت خمسين ، وقام عبد المطلب يدعو اللّه ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد اللّه ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ستين ، وقام عبد المطلب يدعو اللّه ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد اللّه؛ فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل سبعين .

وقام عبد المطلب يدعو اللّه ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبد اللّه ؛ فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل تسعين ، وقام عبد المطلب يدعو اللّه ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد اللّه ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل مئة .

وقام عبد المطلب يدعو اللّه ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رضا ربّك يا عبد المطلب فزعموا أن عبد المطلب قال لا واللّه حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبد اللّه وعلى الإبل وقام عبد المطلب يدعو اللّه فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا ثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو اللّه ، فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثّالثة ، وعبد

المطلب قائم يدعو اللّه فضربوا ، فخرج القدح على الإبل فَنُحِرَتْ ، ثم تُركت لا يصدُّ عنها إنسان ولا يمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سبع . قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجزٌ لَم يصح عندنا عن أحدٍ من أهل العلم بالشِّعر .

2 ـ ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد اللّه بن عبد المطلب :

قال ابن إسحاق[1] : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد اللّه ، فمرَّ به ـ فيما يزعمون ـ على امرأةٍ[2] من بني أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ بن كلاب بن مرَّة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر ، وهي أختُ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزَّى ، وهي عند الكعبة .

فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أينَ تذهب يا عبدَ اللّه ؟ قال : مع أبي ، قالت : لكَ مثلَ الإبلِ التي نُحِرَتْ عنك ، وَقَع عليَّ الآن ، قال : أنا مع أبي ، ولا أستطيعُ خلافَه ، ولا فراقه .

فخرج به عبد المطّلب حتّى أتى به وُهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن

---

(1) السيرة النبوية 155/1 - 156 .

(2) اسم هذه المرأة : رُقَيَّة بنت نوفل ، وتكنى أمّ قتّال ويقال إنّ عبد اللّه قال حين ذلك :

أمّا الحرامُ فالحمامُ دونَهُ والحِلُّ لا حلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريمُ عرضَه ودينَه

كما يقال : إنَّ المرأة التي مرَّ عليها عبد اللّه مع أبيه اسمها فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النّساء وأعفّهنّ ، وكانت قرأت نور النُّبوّة في وجهه ، فدعته إلى نكاحها فأبى ، فلما أبى قالت أبياتاً منها :

إنّي رأيتُ مخيلةً نشأتْ فتلألأت بحناتم القَطْرِ
للّه ما زهريَّة سلبتْ منك الذي استلبَتْ وما تدري

ويقال : إنّ التي عرضَتْ نفسها عليه هي ليلى العدويَّة . راجع الرَّوض الأنف ، والسِّيرة النبوية 156/1 .

مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيِّدُ بني زهرة نَسباً وشرفاً ، فزوَّجه ابنته آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ أفضلُ امرأةٍ في قريش نسباً وموضعاً .

فزعموا أنّه دخل عليها حين أُملكها[1] مكانه ، فوقَعَ عليها ، فحَملَتْ برسول اللّه ﷺ ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التي عَرَضَتْ عليه ما عَرَضت فقال لها : مالَكِ لا تعرضين عَليَّ اليوم ما كنت عَرَضْتِ عليَّ بالأمس ؟ قالت له : فارَقَكَ النُّور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجةٌ .

وقد كانت تسمعُ من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصَّر واتَّبع الكتُب : أنَّه سيكون في هذه الأمَّة نبيٌّ[2] ، وجاء ذلك في سيرة ابن هشام أيضاً .

3 ـ افتقاد حليمة السعدية لمحمد بن عبد اللّه حين رجوعها به وإعادة ورقة ابن نوفل له من شعاب مكة :

قال ابن إسحاق[3] : وزعم النَّاس فيما يتحدثون ، واللّه أعلم أنَّ حليمة السعدية لَمّا قدمت به مكّة أضلّها في النّاس وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إنّي قدمت بمحمد هذه الليلة : فلما كنت بأعلى مكة أضلّني ، فواللّه ما أدري أين هو .

فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو اللّه أن يرده ؛ فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكّة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن مما هاج حليمة السعدية على ردّه إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه مِما أخبرتها عنه ، أن نفراً من الحبشة نصارى ،

---

(1) أملك المرأة ، بالبناء للمجهول : تزوَّجها .

(2) سيرة ابن هشام 157/1 .

(3) المصدر نفسه 167/1 .

رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلّبوه .

ثم قالوا لها : لنأخذنّ هذا الغلام ، فلنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا ، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره ، فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم .

4 ـ بعثة الرَّسول ﷺ :

كان صلوات اللّه عليه يؤثر العزلة ويألف النسك والعبادة ، فكان يذهب إلى غار حراء يتحنّث فيه ، ويتأمل عجائب الكون ، ويفكر في البعث والحساب والجنة والنّار حتى إذا فرغ ما معه من الزاد عاد إلى بيت خديجة فتزود مرة أخرى لمثل ذلك ... ، ولم يزل كذلك حتى نزل عليه الوحي .

وكان أول ما بدئ به من الوحي ، الرؤيا الصالحة ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وبقي الرَّسول على ذلك ستة أشهر حتى بلغ الأربعين من عمره .

فنزل عليه الوحي يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، فرأى جبريل الذي ظهر أمامه وقال : اقرأ ، فقال : ما أنا بقارئ ، فضمه ضمة قوية حتى بلغ منه الجهد ، وقال له : اقرأ ! فقال ما أنا بقارئ ، فضمه كذلك ثم أطلقه[1] ، وقال له في الثالثة : « اقرأ باسم ربّك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربّك الأكرم ، الذي علّم بالقلم ، علم الإنسان ما لَم يعلم »[2].

وسرعان ما عاد الرَّسول إلى خديجة وهو يرتجف مما أصابه فقال : زملوني زملوني « أي لفوني في ثياب » فزملوه حتى ذهب عنه الرّوع وأخبر خديجة بما رأى وقال : قد خشيت على نفسي « من شدة ما لاقاه من الملك » .

فقالت : كلا واللّه ما يخزيك اللّه أبداً ، ثم انطلقت به إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل ، وكان شيخاً كبيراً يحفظ الإنجيل فقالت له : يا ابن العمِّ اسمع من ابن أخيك

(1) تارخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي ص78 ـ 79 .

(2) سورة العلق : 1/96 ـ 5 ، فكانت هذه الآيات أول ما نزل من القرآن .

فأخبرهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلام بما رأى فقال له ورقة : هذا النَّاموس « أي ملك الوحي » الذي نَزل على موسى ، ثم قال : يا ليتني كنتُ جَذعاً « أي شابًّا قويًّا » إذ يُخرجُكَ قومُكَ .

فقال الرَّسول : أوَ مُخرِجيَّ هُمُ ؟ فقال ورقة لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئْت به إلاّ عُوديَ ، وإن يدركْني يومُك أنصرك نصراً مؤزَّراً ، ثم لَم يلبث ورقة أن توفي[1] .

وجاء في الأعلام والإصابة : في حديث ابتداء الوحي بغار حراء ، أنَّ النَّبي ﷺ رجع إلى خديجة ، وفؤادهُ يرتجفُ ، فأخبرها ، فانطلقت به حتّى أتت ورقة بن نوفل[2] .

وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي ، فقالت له : يابنَ عمٍّ ، اسمعْ من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول اللَّه ﷺ خبرَ ما رأى ، فقال له ورقة : هذا النَّاموس الذي نَزَّلَهُ اللَّهُ على موسى ، يا ليتني فيها جَذع ! ليتني أكون حيًّا إذْ يخرجُكَ قومُك .

فقال رسول اللَّه ﷺ أوَ مَخرجيَّ هُمُ ؟ قال : نعم . لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئت به إلاّ عُودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزَّراً[3] .

وقيل في كتاب تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام[4] : ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمِّها ورقة بن نوفل ، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهليَّة ، وكان يكتب الخطَّ العربيَّ ، فكتب بالعربيَّة من الإنجيل[5] ما شاء اللَّه أن يكتب ، وكان

---

(1) تاريخ الإسلام السياسي والدِّيني والثقافي والاجتماعي ص78 - 79 .

(2) الأعلام 115/8 ، والإصابة في تمييز الصَّحابة 317/6 .

(3) الأعلام 115/8 ، والكامل في التاريخ 48/2 ــ 49 ، وتاريخ الطَّبري 531/1 ، 298/2 ــ 299 ، وانظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ص78 - 79 ، والأغاني 120/3 .

(4) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ص78 - 79 .

(5) اللفظ في الصحيح : « وكان يكتب الكتاب العبراني ، فكتب من الإنجيل بالعبرانية » .

شيخاً قد عَمِيَ .

فقالت[1] : اسمعْ من ابنِ أخيك ، فقال[2] : يابن أخي مـا تـرى ؟ فأخـبره[3] . فقال ورقة : هذا النّاموس الذي أُنزل[4] على موسى ، يا ليتني فيها جَذعـاً[5] حـين يخرجُك قومُك .

قال : أوَ مُخْرجيَّ هُمُ ، قال : نعم ، لم يأتِ أحد[6] بما جئْـتَ بـه إلاّ عُـودي وأُذِيَ ، وإن يدركنِي يومُك[7] أنصركَ نَصْـراً مـؤزَّراً ، ثـم لَـم يَنْشَـبْ وَرقـةُ أن توفّيَ[8] .

ولَخّصها ابـن هشـام في سـيرته[9] ، ثـم قـامَتْ فجمعَـتْ عليهـا ثيابهـا ، ثـم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهو ابنُ عمِّهـا ، وكـان قـد تنصَّر ، وقـرأ الكتـب ،

---

(1) في الصحيح : « فقالت له خديجة : يا بن عمٍّ » .

(2) أي ورقة ، كما في الصحيح .

(3) في الصحيح : « فأخبره رسول اللّه خبرَ ما رأى » .

(4) في الصحيح : « نزل اللّـه » .

(5) في الصحيح : « يا ليتني فيها جَذعاً ، ليتني أكونُ حيًّا » . وجَذعاً : شابًّا .

(6) في الصحيح : « لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئْتَ » .

(7) في الصحيح : « يومك حيًّا » .

(8) في الصحيح : « وفَتَرَ الوحيُ » ، وقد رواه البخاري في صحيحه 21/1 ـ 27 في بدء الوحي، وفي الأنبياء و « اذكر في الكتاب موسى إنّه كان مُخلصاً » ، وفي تفسير سورة « اقرأ باسـم ربِّك الذي خلق» ، وفي التّعبير ، باب أوَّل ما بدئ به رسـول اللّـه ﷺ مـن الوحـي الرُّؤيـا الصالحة ، ومسلم رقم 160 في الإيمان ، باب بدء الوحي برسـول اللّـه ﷺ ، رواه التُّرمذي رقم 3636 في المناقب ، باب رقم 13 ، وذكر بعضه ابن هشام في السِّيرة 266/1 ، وابـن سـعد في الطبقات 194/1 ، والطبري في تاريخه 298/2 ـ 299 ، وابـن الجـوزيّ في صفـوة الصفـوة 78/1 ـ 80 ، ونهاية الأرب 168/16 ، والسيرة الحلبية 233/1 ، والبيهقـي في دلائـل النُّبـوة 396/1 .

(9) السيرة النبوية لابن هشام 238/1 .

وسـمِعَ من أهل التَّوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسـول اللّـه ﷺ أنَّـه رأى وسـمِعَ .

فقال ورقةُ بن نوفل : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ[1] ، والذي نفسُ ورقةَ بيده ، فلئن كنتِ صدقتني يا خديجةُ، لقد جاءه النَّاموسُ[2] الأكبرُ الذي كان يأتي موسى[3] إنَّـه لَنبيُّ هذه الأمة . فقولي لهُ : فَلْيَثْبُتْ فرجعَتْ خديجة إلى رسول اللّـه ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل .

فلمّا قضى جوارهُ وانصرف ، صَنعَ كما كان يصنعُ ، بدأ بالكعبة فطاف بهـا فلقيه ورقة وهو يطوفُ بالكعبة ، فقال : يا ابن أخي أخبرني بما رأيتَ وسَمِعْتَ ، فأخبره رسول اللّـه ﷺ فقال ورقةُ : والذي نفسي بيـده إنَّـك لَنبيٌّ هـذه الأمّـة ، ولقد جاءك النَّاموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى ، ولَتُكذبنَّهْ ، ولَتُؤذينَّهْ ، ولَتُخرجَنَّهْ، ولَتُقاتلَنَّهْ[4] .

ولئن أنا أدركتُ[5] ذلك اليوم لأنصرنَّ اللّـه نَصراً يعلمُهُ ، ثمَّ أدنى رأسهُ منـهُ فقبّل يافوخهُ ثمَّ انصرف رسولُ اللّـه ﷺ إلى منزلهِ[6] .

---

(1) قدوس قدوس ، أي : طاهر طاهر ، وأصله من التقديس ، وهو التطهير .

(2) الناموس : صاحب سرِّ الملك ، وقال بعضهم : هو صاحب سرِّ الخير ، والجاسوس : هـو صـاحب سرِّ الشَّر .

(3) ذكر موسى و لم يذكر عيسى - وهو أقرب - لأنّ ورقة كان معتنقاً النَّصرانية وقتها . والنَّصـارى لا يقولون في عيسى : إنَّه نـبيٌّ يأتيـه جـبرائيل ، وإنَّمـا يقولـون فيـه : إنَّ أقنومـاً مـن الأقـانيم الثلاثـة اللاهوتيّة حلَّ بناسوت المسيح واتحد به على اختلافٍ بينهم في ذلك الحلول ، وهو أقنومُ الكلمـة ، والكلمة عندهم عبارةٌ عن العلم فلذلك كان المسيحُ عندهم يعلمُ الغيبَ ويخبرُ بما في غدٍ .

(4) الهاءات الأربعة لا يُنْطقُ بها إلاّ ساكنة ، فإنّها هاءات سَكتٍ وليست بضمائر .

(5) في الحديث ... وإن يدركني يومك ... وهو القياس ، لأنَّ ورقة سابقٌ بالوجود والسّابق هو الـذي يدركه بما يأتي بعده .

(6) السيرة النبوية لابن هشام 238/1 ، ونفح الطِّيب 504/4 ، وتاريخ الطبري 300/2 - 301 - 302، وتاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام 128/1 و132 ، ويذكر فيه ، سيرة ابن هشام 27/1 ،=

5 ـ علاقة ورقة بالرَّسول ﷺ :

« ورقة بن نوفل يعدُّ من الصَّحابة ، وقد ألَّف أبو الحسن بُرهان الدِّين إبراهيم البقاعيِّ الشّافعيِّ تأليفاً في إيمان ورقة بالنَّبيِّ وصحبته له ﷺ ، ولقد أجادَ في جَمعه ، وشدّد الإنكار على مَنْ أنكر صحبته ، وجمع فيه الأخبار التي نُقلت عن ورقة رضي الله عنه بالتّصريح بإيمانه بالنّبي ﷺ ، وسروره بنبوّته ؛ والأخبار الشّاهدة له بأنّه في الجنّة ، وما نقله العلماء من الأحاديث في حقّه . وما ذكروه في كتبهم المصنّفة في أسماء الصَّحابة ، وسمَّى تأليفه : بَذل النُّصح والشَّفقة ، للتعريف بصُحبة السَّيد ورقة »[1] .

يُروى أنَّ رسول اللّه ﷺ لَمّا خَطب خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصيّ ذُكِرَ ذلك لورقة بن نوفل فقال : محمّد بن عبد اللّه يَخطبُ خديجة بنت خويلد ، « الفَحلُ لا يُقدعُ أنفهُ»[2] .

بينما يقول صاحبُ العقد : « ولَمّا خَطب رسول اللّه ﷺ خديجة بنت خويلد بن عبد العزَّى ذَكَرَتْ ذلك لورقة بن نوفل ، وهو ابن عمِّها فقال : هو الفحلُ لا يُقْدَع أنفه ، تزوَّجيه »[3] .

ويقول القلقشندي في حاشية صُبْحِ الأعشى في صناعة الإنشا : ورقةُ بنُ نوفل، وهو الذي أتتهُ خديجة بالنَّبيِّ في حديث المَبْعَث . وقال للنّبي عليه السَّلام : هذا النّاموس الذي أُنزِلَ على موسى، يا ليتني فيه جَذعاً ، يا ليتني أكونُ حيًّا إذ

- والرَّوض الأنف 274/1 ، ونهاية الأرب 171/16 ـ 172 ، وعيون الأثر 86/1 ـ 87 ، والسير والمغازي ص122 .

(1) خزانة الأدب 361/3 ـ 362 .

(2) الكامل 209/1 ، وفي الحاشية ويروى : « لا يُقرع » بالراء ، ويروى : « هذا البِضعُ لا يُقرع أنفه» ، والغريبين ص178 ، والفائق 115/1 ، والنهاية 24/4 ـ 43 ، واللسان « قدع ، قرع » ، وشرح ما يقع فيه التصحيف ص438 .

(3) العقد الفريد 89/6 .

يخرجُكَ قومُك .

فقال النَّبي ﷺ : أوَمُخْرِجيَّ هُمُ ؟ قال : نعم . لم يأتِ أحدٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به إلاّ عُودِيَ ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزَّراً ، ثم لم يلبث ورقة أنْ توفي[1] .

وجاء في تاريخ الطَّبري : « فلمّا قضى رسول اللّه ﷺ جواره وانصرف كما كان يصنعُ ، وبدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيهُ ورقةُ بن نوفل وهو يطوفُ بالبيت فقال : يا بن أخي أخبرني بما رأيتَ أو سَمِعْتَ فأخبره رسول اللّه ﷺ .

فقال ورقةُ : والذي نفسي بيده ، إنَّك لَنبيٌّ هذه الأمَّة ، ولقد جاءك النّاموس الأكبرُ الذي جاء إلى موسى ، ولَتُكَذّبَنَّهْ ولَتُؤذينَّهْ ولَتُخْرجنَّهْ ولَتُقاتلَنَّهْ ، ولئنْ أنا أدركتُ ذلكَ لأنصرنَّ اللّه نصراً يعلمُهُ .

ثُمَّ أدنى رأسهُ فقبَّل يافوخَهُ ، ثمَّ انصرفَ رسولُ اللّه ﷺ إلى منزله وقد زادهُ ذلك من قولِ ورقة ثباتاً وخفَّف عنهُ بعضَ ما كانَ فيهِ من الهمِّ »[2] .

وروى بعضهم أنَّه آمن بالرَّسول وجعله من الصَّحابة ، وشدَّد الإنكار على من أنكرَ صُحبتهُ ، وجَمَعَ الأخبار الشَّاهدة له بأنَّه في الجنَّة[3] .

أمَّا زعم إيمانه بالرَّسول ، وما رووهُ من الشِّعر من ذكر اسم الرَّسول وإيمانه به ، ومن إخباره عنه ، فإنَّه من الشِّعر الموضوع المصنوع الذي وُضِعَ على لسان غيره أيضاً بزعمِ إثبات نبوَّةِ الرَّسول وفي أكثرهِ رِكَّة[4] وله صُحبة[5] ، وهو الذي

---

(1) حاشية صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشنديّ ، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدّين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 م ، 410/1 ، وتهذيب الأسماء واللغات 144/2 ، والأعلام 115/8 .

(2) تاريخ الطَّبري 533/1 .

(3) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 702/9 .

(4) المرجع نفسه 702/9 .

(5) كتاب الاختيارين ص258 .

تنبَّأ له ﷺ بالنُّبوَّة .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذَكَرَتْ لورقة[1] بن نوفل ابن أسد بن عبد العزَّى ، وكان ابن عمِّها ، وكان نصرانيًّا قد تتبَّعَ الكتبَ وعَلِمَ من عِلْمِ النَّاس ما ذَكَرَ لها غلامُها ميسرة من قول الرَّاهب ، وما كان يرى منه إذْ كان المَلَكان يُظلاَّنه .

فقال ورقة : لئنْ كانَ هذا حقًّا يا خديجةُ إنَّ محمّداً لَنبيُّ هذه الأمَّة ، وقد عرفتُ أنَّه كائنٌ لهذه الأمَّة نبيٌّ يُنْتَظرُ هذا زمانه أوْ كما قال : فجعل ورقةُ يستبطئُ الأمرَ ويقولُ : حتَّى متَّى ؟ فقال ورقة في ذلك ....

لَجِجْتُ وكُنْتُ في الذِّكْرَى لَجُوجا   لِهَمٍّ طالَما بَعَثَ النَّشِيجا

وقال الزُّبير : وحدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الضَّحّاك عن عبد الرَّحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن أبيه : أنَّ خديجة كانت تأتي ورقة بما يُخْبِرُها رسولُ اللّه ﷺ أنَّه يأتيهِ فيقولُ ورقة : لئنْ كان ما يقولُ حقًّا : إنَّه ليأتيه النّاموسُ الأكبرُ ناموسُ عيسى بن مريم الذي لا يُجيزُهُ أهلُ الكتابِ إلا بثَمَن[2] . ولئن نَطَقَ وأنا حيٌّ لأبلينَّ فيه للّه بلاءً حسناً .

روى التِّرمذي عن أبي موسى الأنصاريّ ، عن يونس بن بُكَير ، عن عثمان ابن عبد الرَّحمن ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة ، سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ عن وَرقة فقالت خديجة : إنَّه يا رسول اللّه كانَ صدَّقَكَ ، وإنَّه ماتَ قبلَ أن تظهرَ ، فقال : « رأيتهُ في المنام عليه ثيابٌ بِيضٌ ، ولو كانَ من أهلِ النّارِ لَكانَ عليه لباسٌ

(1) السيرة النبوية لابن هشام 175/1 ، وفي الحاشية : « وأمُّ ورقة » هند بنت أبي كبير بن عبد ابن قصيّ ، ولا عقب له ، وهو أحد من آمن وأسلم قبل المبعث . والرَّوض الأنف 216/1 ــ 217 .

(2) الأغاني 122/3 ، وفي الحاشية : « هذه الكلمة محرَّفة في جميع الأصول ، ولها أشكال متباينة لم نتبين تصويبها . وفي شرح المواهب اللّدنية للزرقاني 259/1 طبع بولاق : إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يُعلِّمهُ بنو إسرائيل أبناءهم » .

غير ذلك »[1] .

ولَقِيَ وَرقةُ النّبيَّ ﷺ فقال : يا بن أخي ، اثبُتْ على ما أنتَ عليه ، فوالّذي نفسُ ورقة بيده إنّك لَنبيُّ هذه الأمّة ، ولَتُؤْذيَنَّ ولَتُكذّبَنَّ ولَتُخرجَنَّ ولَتقاتلَنَّ ، ولئنْ أدركتُ يومَك لأنصُرنَّ اللّهَ نصراً يعلمُهُ[2] .

أنبأنا الحسين بن محمّد البارع بإسنادٍ له عن ابن شهاب عن عروةَ قال : سُئِلَ رسولُ اللّه ﷺ عن ورقة فيما بلغنا فقال : لقد رأيتهُ في المنامِ عليه ثيابٌ بيضٌ ، وقد أظنُّ أنّهُ لو كان من أهل النّار لَمْ أرَ عليه البياض[3] .

وقال رسول اللّه ﷺ : لا تسبُّوا وَرقة ، فإنّي رأيتُهُ في ثيابٍ بيض[4] .

وجاء من مراسيل عروة أنَّ رسول اللّه ﷺ قال : رأيتُ لورقةَ جنّةً أو جنّتيْن[5] .

وفي حديثٍ عن أسماء بنت أبي بكرٍ ، أنَّ النّبيّ ﷺ سُئِلَ عن وَرقة فقال : يُبْعَثُ

---

(1) تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام ص119 ، أخرجه التّرمذي في سننه 369/3 ، 2390 كتاب الرُّؤيا ، باب ما جاء في رؤيا النّبي ﷺ في الميزان والدلو ، وقال : هذا حديث غريب ، وعثمان بن عبد الرّحمن ليس عند أهل الحديث بالقويّ .

(2) مروج الذّهب 87/1 .

(3) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك 373/2 ، والأغاني 119/3 ، وقد ورد الحديث في ص88 جزء خامس من أسد الغابة في معرفة الصّحابة في حديث عائشة قالت : « سئل رسول اللّه ﷺ عن ورقة فقالت له خديجة : إنّه كان صدّقك وإنّه مات قبل أن تَظهر ، فقال رسول اللّه ﷺ رأيته في المنام وعليه ثياب بيض ولو كان من أهل النّار لكان عليه لباس غير ذلك » ، وقد روى قريباً من ذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب ص319 .

(4) خزانة الأدب 363/3 ، ونسب قريش ص207 ، وفيه : « ورقة بن نوفل » مكان « ورقة » ، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 271/2 .

(5) تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام ص119 ، رواه ابن الأثير في أسد الغابة 89/5 ، والبيهقي في مجمع الزوائد 416/9 .

يومَ القيامةِ أمَّةً وحدَهُ[1] .

وقال الزُّبير : حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا الضَّحّاك بن عثمان بن عبد الرَّحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة : أنَّ رسول اللّه ﷺ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : شَعَرْتُ أنّي قد رأيتُ لورقَةَ جنّةً أو جنّتيْن . يشكُّ هشام : قال عروةُ : نَهَى رسولُ اللّه ﷺ عن سبِّ ورقة .

---

(1) الأعلام 115/8 .

الباب الثاني

ورقةُ بنُ نوفل الشَّاعر الوجدانيّ

الفصل الأول : ورقة والأدب الجاهليّ

الفصل الثاني : الخصائص الفنيَّة لشعر ورقة

الفصل الأول

ورقة والأدب الجاهلي

أولاً : عصر ورقة بن نوفل :

ورقة بن نوفل شاعر جاهلي من قبيلة قريش عاش في القرن السادس الميلادي ، في مكّة المكرّمة ، كان عصره مليئاً بالعلاقات التجارية ، وفي أوج التطور الحضاري اجتماعياً وثقافيًّا واقتصاديًّا، وهو فيه « عالم حكيم شاعر » . هذا عصره في أضيق معانيه .

أمّا عصره الفني : فإنّه يمتد من العصر الجاهلي الأخير إلى بداية العصر الإسلامي، وكان يعزف على أوتار الفن القديم .

لهذا نجد شعره محلًّى بخصائص الفن الجاهلي ، في أغراضه وأساليبه ، وفي ألفاظه ومعانيه .

وعلى الرغم من إقامته في مكّة ، فإنّه كان يرتحل إلى الحواضر والأمصار ، بحثاً عن حقيقة الدِّين، وسعياً للاطلاع على الثقافات المتعددة فيها ، وترجمة ما يحلو له من كتب عبرانية أو سريانية وغيرهما .

لذلك كان شعره وعلمه يجدان آذاناً صاغية في مكّة ، والبلدان التي كان يذهب إليها . ويمكن أن يكون علمه قد تجاوز هذا النطاق ، وردّدته سائر الآفاق .

ثانياً : تعريف الأدب الجاهلي :

فالأدب الجاهلي في أبسط تعريف له هو : نتاج فكري عاطفي ، ينسب إلى

العرب قبل الإسلام ، يعبّر فيه صاحبه عن مشاعره وأحاسيسه بلفظ مثير ، وفكر كبير . ويكون عادة شعراً أو نثراً .

والعرب عامة ، أهل لغة وبيان وفصاحة ولسان ، قالوا وكتبوا في الأدب والقصص والسير والأخبار والأيام والتاريخ .

وكان لكل قبيلة شاعر وأكثر ، يذكرها ويفخر بأمجادها وأحسابها ويدفع عنها، وكان فيهم المقلّ والمكثر ، كما كانوا يتفاوتون في نتاجهم كماً ونوعاً .

وهذا ما جعل نتاجهم الأدبي غزيراً جدًّا ، ولكن أكثره قد ضاع ، ولم يصل إلينا منه إلاّ الشيء القليل . وهذا معنى قول أبي عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالت العربُ إلا أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير »[1] .

ومنه نستنتجُ أنَّ العرب في جاهليتهم لم يكونوا بَعيدين عن الحضارةِ والرُّقيِّ والثّقافة إنّما كانوا على درجة عالية من التّطور والنُّضج الأدبيِّ .

ما يهمُّنا من هذا الأدب هنا «الشِّعر» الذي يمكنُ أن نقول في الذي وصلنا منهُ: إنّه يتّسمُ بالغنائيَّة والوصفيَّة ، وكان الوسيلةَ الوحيدةَ للتعبير عن النَّفس لدى العربيِّ في الصَّحراء ، لذا فقد تمثّلت فيه حياته الرّوحيَّة في أتمِّ أوضاعها ، حتّى غدا شعرهُ شعراً وجدانيًّا بكلِّ ألوانه إلى المدى البعيد[2] .

ولقد أثّرت البيئةُ في هذا الشِّعر تأثيراً واضحاً ، فنلاحظُ عليه « البساطة في تعبير القول » تلك البساطةُ المقتبسةُ من شكل الحياةِ لديهِ كالبيتِ « الخيمة المتنقّلة»، الطعام ، اللّباس ... إلخ .

كما نراه متحمِّساً حتّى التّهور ، لذلك قلَّ الإيحاء في شعره ، وبَرَع في الفنون البدويَّة ، يحلُمُ بالأمور الحسيَّة أكثر من القضايا المعنويَّة ، وذلك لأنَّ شعره ذاتيٌّ غنائيٌّ .

---

(1) طبقات فحول الشعراء ص25 .

(2) أدب العرب في عصر الجاهلية ، حسين الحاج حسن ، ص15 وما بعدها .

والشِّعرُ الجاهليُّ ، صورة صادقة لجميع ألوان الصحراء والبيئة والعصر ، تتمثَّلُ فيه حياتهم ، بكلِّ ما لها وما عليها .

ويخطئُ مَنْ يظنُّ أنَّ الشَّاعر الجاهليّ إنسانٌ أوليٌّ بدائيٌّ . والصحيح : إنَّهُ إنسانٌ فطريٌّ مطبوعٌ على اللُّغة والبيان ، يشهدُ له بذلك القرآن الكريم الذي نزلَ بلغته ، وهو يمثِّل قمَّة البلاغة ، وعلى الرَّغم من ذلك فقد فهمه بيُسرٍ وسهولة . وهذا تأكيدٌ واضحٌ على تقدُّمهِ ورقِّيه .

واللُّغة العربيَّة التي احتضنت ثقافةَ الفرسِ ، وحكمةَ الهند ، وفلسفة اليونان ، واحتوتْ جميعَ الأعباءِ الثَّقافية والعلميَّة والفلسفيَّة ، هي لغةٌ عريقةٌ لا تصدرُ عن إنسانٍ بدائيٍّ في اللسانيَّات والبيان[1] .

ثالثاً : شعر الحنفاء بلهجة قريش :

اللُّغة : ظاهرة اجتماعية ، تتوافرُ فيها خصائص الظَّواهر الاجتماعيَّة ، وهي لذلك تتأثَّر جميع مناحيها بجميع ظواهر الحياة الاجتماعية كما تؤثِّر بدورها في هذه الظَّواهر[2] .

ولقد أجمع العلماءُ على أنَّ لهجة قريش كانت أفصح لهجاتِ عَربِ الشَّمال وأرقِّها ، وأحسنها وَقْعاً في الأذن .

ويعلل الباحثون سهولة لغة قريش ، بأنَّهم كانوا ينتقون من لغة الوافدين عليهم ، وهم كثير ، لمكانة قريش الدِّينية والاقتصادية ، ما عذب لفظه وخفَّ حتَّى صارت لغتهم المثل الأعلى لسائر العرب ... لِما فيها من رقّة وجمال ، ولِما

---

(1) المرجع نفسه ص16 وما بعدها .

(2) معجم العلوم الاجتماعية ، علي عبد الواحد الوافي ، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور ، إعداد نخبة من الأساتذة المصريِّين والعرب ، والشعبة القوميّة للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو» ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1985 م ، مادة «لغة» .

لهم من سيادة ونفوذ[1] .

وكان الشّعر أحد أهم وسائل التعبير التي لجأ إليها «الحنفاء» للتعبير عن أفكارهم وآرائهم والدّعوة إليها .

ويرى « أحمد أمين » أن بعضاً من هؤلاء «الحنفاء» قد تأثّر بكل من اليهودية والنصرانيّة اللتين انتشرتا بين العرب ، وظهرت في أشعارهم نغمة دينية جديدة[2] .

ولعله من المفيد ، أن نذكر أنَّ التوحيد في العقيدة كان أحد الأسباب الهامّة التي عاونت في توحيد الجزيرة العربيَّة ، بالإضافة إلى العوامل الأخرى .

أمّا الأغراض التي تناولها أصحاب «الحنيفية» فهي : شجب عبادة الأصنام ، إنّ اللّه ربٌّ لا شريك له ، الحثّ على التقوى ، الإيمان بإسلام الوجه إلى اللّه خالق الأرض التي دحاها ، والمزن التي ساقها ، كما كانوا يطلقون على الربّ « الملك الأعلى » ويصفونه «بالرَّحمن» و«بالغفور» .

من هؤلاء الحنفاء ، ورقة بن نوفل الذي كان يدعو إلى التوحيد صراحة وأن الربَّ ليس كمثله شيء .

بدينك ربًّا ليس ربٌّ كمثله   وتركك أوثان الطواغي كما هيا

أدين لربٍّ يستجيب ولا أرى   أدين لمن لا يسمع الدَّهر داعيا

وفي مكان آخر يقول عن نفسه إنَّه «النذير» لقومه ، وإنَّه نَصحَ لقومه ، أي : دعاهم للحنيفية الموحدة :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم :   أنَّا النّذير فلا يغرركم أحدُ[3]

كما يؤكد أميَّة بن أبي الصّلت أن دين الحنيفية هو الدّين الحق ، وغيره من

---

(1) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، أحمد حسن الباقوري ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1983 م، ص40 .

(2) فجر الإسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط13 ، 1982 م ، ص25 .

(3) قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ص212 وما بعدها .

الملل باطل .

ويذكر في أشعاره « الجزاء والجنّة » التي أعدت للأبرار . والتي مصفوفة «نمارقها» وحفّت بها الحدائق . والنار التي يحيط «سرادقها» بالمذنبين ، ويصف الربّ بأنّه ربّ الراسيات من الجبال .

وأنّه بنى سبعاً شداداً بلا عمد . وسوّاها وزيّنها بنور من الشمس المضيئة ، وشقّ الأرض فأنجبت عيوناً وأنهاراً ، وبارك في نواحيها[1] .

من هنا يقال : إن شعر «الحنفاء» كانت له اليد الطولى في الجانب العقائدي والدّيني إذ أنّه حَرَثَ الأرض ومهّدها لتلقي بذرة عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام .

وكان الدّين أبرز الدّوافع التي ساهمت في نشوء الدولة الجديدة « دولة قريش في مكة »[2] .

رابعاً : شعر ورقة بن نوفل :

سنلاحظ أثناء دراسة المجموعة الشعرية لورقة بن نوفل ، شيئاً من اختلاف رواية بعض الأبيات لتعدد رواتها . وهذا وحده كافٍ ليبرهن على صحة شعره ، وصدق المدونين في تسجيل ما كانوا يسمعون .

إذ لم نكد نجد قصيدة أجمع الرواة على روايتها برمتها من غير اختلاف أو نقص أو تقديم أو تأخير . وهذا أمر طبيعي ، يحصل في الشّعر الذي قيل في مرحلة ما قبل التدوين ، ولا غرابة في ذلك ، فالمعلقات نفسها قد طرأ على روايتها اختلاف كبير .

ولا أنكر أن الشعر الذي جمعته لورقة يثير مشكلة صعوبة دراسته النابعة مِما

---

(1) المرجع نفسه ص213 .

(2) قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ص214 .

يأتي :

1 ـ قلة الأغراض الشعرية التي تناولها الشاعر ، إذ لا نكاد نقع إلاّ على إخبارٍ وصفيّ بنبوءة محمد ﷺ . وبالإضافة إلى ذلك ، بعض المقطعات الدائرة حول الحكمة والنسيب ولكنّها مقطعات غير كافية لتكون مادة استنتاج نقدي .

2 ـ وجود بيت واحد أو بيتين من الشعر ، لا يقدمان أيّة فكرة للمحلّل ، وإن كان لهذا مدلول عندنا أثناء التحقيق .

3 ـ التنويع التصويري « الصورة المجازية المبتكرة » يكاد يكون معدوماً ، لأنَّ الشعر هنا إخباري محض .

وأتوقف قليلاً عند صوره وتشابيهه ، ودراسة الحال النفسيَّة التي يمكن أن تترجمها الأبيات الشعرية ، أي جماليات الإيقاع الشعري ، وأختم دراستي بأسلوبه وموسيقاه .

وأخيراً يمكن أن يُعتبر شعرُ ورقةَ بن نوفل الخطوة الأولى في طريق العصر الإسلاميّ ، لأنّه يعتمدُ في مجملِهِ على التّبشير بالنُّبوّة ، والحديث عن الثّواب والعقاب ، الجنّة والنّار ، واليوم الآخر . وفي هذا تأكيدٌ واضحٌ على مصداقيَّةِ شعرِهِ من النّاحيتين الفنيَّة والعقائديَّة .

خامساً : الصُّورة الفنيَّة :

وهي إحدى وسائل الأداء الشِّعري في العصر الجاهليِّ ، يعتمدها الشَّاعرُ اعتماداً كبيراً في تجسيد معانيه وتوضيحها .

أمّا شاعرُنا ورقة فقلّما نجدهُ وهو يؤدِّي صورته الشعريَّة ، يسبحُ في الخيال ، أو يجنحُ للوصف البعيد المرمى . وهذا طبع العربيّ في الجاهليَّة بعامَّة ، والشَّاعر ورقة بخاصَّة .

والسّبب هو العيشُ على الفطرة ، وبساطة التعبير تماماً كالصحراء الممتدة أمامه

والسَّماء الزَّرقاء المرتفعة فوقه . مَثَلهُ في ذلك كبقيَّة العرب الجاهليِّين في عصره .

ولَم يكن الشَّاعر ليخرج عن بيئته ، أو يفكر بالانطلاق لأنَّ الشَّـاعر ابـن بيئتـه التي نشأ بها ، فكان طبيعيًّا أن يصوِّر صُـورهُ إمّـا مـن قلـب الصحـراء أو مـن كبـدِ السَّماء أو من أرضِ الواقع .

أمّا السِّمةُ الغالبةُ على شعرهِ فهي الوجدانيَّةُ والإخبار عن حقيقة النبوَّة .

الفصل الثاني

الخصائص الفنيَّة لشعر ورقة

أولاً : الأسلوب اللغوي :

تحدثنا عن اللُّغة من حيث هي ظاهرة اجتماعية ... ورأينا أن لهجة قريش كانت أعذب لهجات عرب الشِّمال .

وورقة شاعر نظر إلى اللَّفظة نظرة المتمعن ، فاستخدم اللَّفظة العذبة الرَّقيقة حيثما تطلّب المعنى والحالة الشعورية ذلك كقوله[1] :

ولَقدْ غَزوْتُ الحيّ يُخشَى أهلُهُ ... بعدَ الهدوء وبَعْدَما سَقَطَ النَّدَى

فَوجدْتُ فِيهِ حُرّة قَدْ زُيِّنَتْ ... بالحلْيِ تَحسبُهُ بها جَمْرَ الغَضا

فَنَعِمْتُ بالاً إذْ أَتيْتُ فِراشَها ... وسَقَطْتُ مِنْها حَيْثُ جِئْتُ على هَوَى

فالأبيات في الغزل الصريح ، وهذا المضمون وحالة الشاعر النفسيَّة ، حالة الحب والبهجة والسرور جعلا اللَّفظة تأتي عذبة ومأنوسة وموحية ورقيقة مثل : الحيّ ، الهدوء ، النَّدى ، هوى .

وتكتسب اللَّفظة جزالة وفخامة حيث يجب أن يكون ذلك كقوله في مديح النَّبي[2] :

يعفو ويصفح لا يجزي بسيئة ... ويكظم الغيظ عند الشّتم والغضبِ

(1) انظر القصيدة رقم (1) من هذه الرسالة .

(2) انظر القصيدة رقم (2) من هذه الرسالة .

فانظر إلى الألفاظ : يصفح ، الغيظ ، الغضب . فالظاء والضاد والصاد أكسبت الكلمات فخامة وقوة ... وانظر إلى حروف الفعل كظم كيف عبرت عن معنى الكبت والمنع .

والألفاظ فصيحة .. لكنّنا نستطيع أن نعثر على بعض الدخيل في لغة ورقة ... وهذا ما يؤكد مركز قريش الثقافي والتجاري فلننظر إليه يستخدم لفظة «البريد» الفارسية في قوله[1] :

ركب البريد مخاطراً عن نفسه ‏ ‏ ‏ ميت المظنّة للبريد المقصد

ويمكن أن نلاحظ ظاهرة في لغة ورقة برزت في معظم أشعاره التي جاءت لتخبر عن بعثة النّبي هي أنّه استخدم اللّفظة بمعناها المباشر ، فلم يشحنها بطاقة شعورية .. بل جاءت لتعبر بشكل مباشر عن معناها الذي تحمله في ذاتها كقوله[2] :

وأخبار صدق خبرت عن محمَّد ‏ ‏ ‏ يخبرها عَنْهُ إذا غاب ناصِحُ

فَتاكِ الّذي وجَّهْتِ يا خَيرَ حُرَّةٍ ‏ ‏ ‏ بغَورٍ وبالنَّجدَيْنِ حيثُ الصَّحاصِحُ

إلى سوقِ بُصْرَى في الرِّكابِ التي غَدَتْ ‏ ‏ ‏ وهُنَّ مِنَ الأحْمالِ قُعْصٌ دَوالِحُ

يخبِّرُنا عَنْ كُلِّ حِبْرٍ بعلْمِهِ ‏ ‏ ‏ ولِلْحَقِّ أبوابٌ لَهنَّ مَفاتِحُ

بأنَّ ابنَ عبدِ اللَّه أحمدَ مرسَلٌ ‏ ‏ ‏ إلى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عليهِ الأباطِحُ

فالألفاظ : ناصح ، صدق ، غور ، الصَّحاصح ، الرِّكاب ، دوالح ، الأباطح . لم تُشحن بطاقة شعوريَّة ... فالأفكار التي يتحدث عنها ورقة لَم تسمح له أن ينمِّق لغته ويجوِّدها ... فجاءت لتؤدِّي معناها المباشر .

ثانياً : التراكيب والجمل :

التراكيب عند ورقة متينة ومترابطة ... وتكاد تخلو الجمل من التقديم والتأخير

(1) انظر المقطعة رقم (6) من هذه الرسالة .

(2) انظر القصيدة رقم (4) من هذه الرسالة .

وربَّما وجدنا ظاهرةً جديرةً بالوقوف عندها في شعرِ ورقة ... فقد غلبَ استخدامه للجملة الخبريَّة ... ربَّما لأن أشعاره كانت في معظمها في الإخبار عن بعثة النَّبيِّ .. ونكاد لا نقعُ على الجملةِ الإنشائية إلاَّ في مواقعَ قليلة جدًّا كالأمرِ في قوله[1] :

فارفَعْ ضعيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُه   يَوماً فـتـدرِكَـهُ العواقِبُ قَدْ نَما

أو الاستفهام في قوله[2] :

هَلَ اتى ابْنَتَيْ عثمانَ أنَّ أباهُما   حانَتْ منيَّتُهُ بجنْبِ المَرْصَدِ

ثالثاً : الصنعة في شعر ورقة :

ورقة شاعر مطبوع ، قلَّما يلجأُ إلى البديع ... وربَّما نستطيع أن نتبيَّن بعض خيوط الصَّنعة في شعره كالتصريع في قوله[3] :

رَحَلَتْ قتيلةُ عِيْرَها قَبْلَ الضُّحَى   وأخالُ أنْ شَحَطَتْ بِجارتِكَ النَّوَى

وإذا كانت التقفية لا تشيرُ إلى تكلُّف ذلك أنَّه كان عادةً جرى عليها الشُّعراء .. فإنَّنا نجدُ بعض الصنعة التي تمكَّنَ ورقـةُ من إخفائها وكأنَّها جاءَتْ عفوَ الخاطر كالمقابلة في قوله[4] :

ولَقدْ ركبْتُ على السَّفينِ ملجَّجاً   أَذَرُ الصَّديقَ وأَنْتَحِي دارَ العِدا

فالمقابلة التي وردت في الشَّطر الثاني بين - أذَرُ وأنتحي والصَّديق والعِدا - لَمْ تُحشرْ حشراً ولم تسئْ إلى المعنى بل جاءَتْ خادمةً له .

ونجدُ الطِّباق في قوله « شبابهم والأشيبون »[5] :

(1) انظر القصيدة رقم (1) من هذه الرسالة .

(2) انظر المقطعة رقم (6) من هذه الرسالة .

(3) انظر القصيدة رقم (1) من هذه الرسالة .

(4) انظر القصيدة رقم (1) من هذه الرسالة .

(5) انظر القصيدة رقم (4) من هذه الرسالة .

ويتبَعُهُ حيًّا لؤيِّ بنِ عامِرٍ   شبابُهُمْ والأشيَبُونَ الجَحاجِحُ

ودينِك وتركِك في قوله[1] :

بدينِك ربًّا ليسَ ربٌّ كمثلهِ   وترْكِكَ أوثان الطواغي كَما هِيا

رابعاً : الصورة الشِّعريَّة :

لَم يجنح ورقة إلى الخيال فقد غلب الأسلوب التقريريّ المباشر في شعره ... فكانت الصُّور نادرةً .

وقد نقع هنا أو هناك على بعض الصُّور الحسيَّة القريبة المأخذ ، التي تعتمد على حاسَّة البصر لتصفَ الأشكال الخارجيَّة ... وهي مستقاةٌ من البيئة ومن الملاحظة كالتَّشبيه البليغ في قوله[2] :

فَوَجَدْتُ فيهِ حرَّةً قَد زُيِّنَتْ   بالحلْيِ تَحْسَبُهُ بِها جَمْرَ الغَضا

فالهاء في تحسبُهُ «الحلي» مشبَّه والجمر مشبَّه به ، وهذا التشبيه حِسِّيٌّ عرفَهُ ورقة من تجربة وملاحظة جَمْرِ الغَضا الذي يدومُ توهُّجهُ طويلاً .

ويعمد أحياناً إلى التّشبيه التّام كقوله[3] :

حَراجيج أمثال القِداحِ مِنَ السُّرَى   يُعلَّقُ في أرساغِهِنَّ السَّرايِحُ

فتشبيه النّاقة الضّامرة بالسَّهم تشبيه حِسِّي أيضاً وهو مستقًى من البيئة .

وربَّما وجدنا بعض الصُّور المجرَّدة التي استقاها الشّاعر من ثقافته ومن اطلاعه على الدِّيانات كتشبيه الموت بورودِ الحَوض[4] :

حوضٌ هنالِك موروْدٌ بلا كَذِبٍ   لا بُدَّ من ورْدِهِ يَوماً كَما وَرَدُوا

---

(1) انظر القصيدة رقم (12) من هذه الرسالة .

(2) انظر القصيدة رقم (1) من هذه الرسالة .

(3) انظر القصيدة رقم (4) من هذه الرسالة .

(4) انظر القصيدة رقم (5) من هذه الرسالة .

خامساً : الموسيقى :

الوزن الشّعريُّ : تتنوَّعُ الأوزان عنـد ورقـة ، فاسـتخدم «الطويـل» في أربـع قصائد ، واستخدم «الكامل» ثلاثاً ، و «البسيط» ثلاثاً ، و «الوافـر» في قصيـدة واحدة ، و «منهوك الرَّجز» مرَّة واحدة .

ولا شـكَّ أنَّ البحـر الطَّويـل كـان البحـر الأكـثر شـيوعاً في الأدب الجـاهليِّ ، فالعرب كانوا يسمُّونه «الرَّكوب» لكثرة ما كـانوا يركبونـه في أشعارهم ، وربَّمـا يكون هذا التعليل يبقى ضمن الإطار الخارجيِّ والنظريِّ ...

فربَّما برزت عند ورقة نزعةٌ خفيَّـةٌ تكمـن في أنَّ موسيقى الطَّويـل ليس فيهـا جَلَبَةً وإيقاعاً راقصاً .. فغالباً ما تنزوي النَّغمـة لتتيحَ للفكـرة الظُّهـور والـبروز ... وهذا ما يفسِّر لنا أنَّ ورقة لَم يستخدم البحر الطَّويل إلاَّ في القصائد الـتي بشَّـر بهـا ببعثة النَّبيِّ محمَّد ﷺ .

سادساً : القافية والرَّوي :

لم يتكلَّف ورقة الرَّوي الصَّعب كالذَّال والخاء والظَّاء والصَّاد ... ولهذا لم يجـد عَنَتاً في الوصول إلى كلمة الرَّوي ، فجاءَتْ سلسةً ومتمِّمة للمعنى ومندمجة فيه .

وقد اختار القافية والرَّوي اللَّذين يضفيان علـى الـوزن إيقاعـاً عذبـاً كاختيـاره لروي الألف في قوله[1] :

رَحَلَتْ قتيلةُ عِيْرَها قَبْلَ الضُّحَى وأخالُ أنْ شَحَطَتْ بجارِتِكَ النَّوَى

أو في اختياره لروي الياء المفتوح ليكسب إيقـاع البحـر الطويـل عذوبـةً ورِقَّـة كقوله[2] :

رَشَدْتَ وأنْعَمْتَ ابنَ عَمْرٍو وإنَّما تَـجَـنَّبْـتَ تَنُّوراً مِنَ اللَّه حامِيا

---

(1) انظر القصيدة رقم (1) من هذه الرسالة .

(2) انظر القصيدة رقم (12) من هذه الرسالة .

أو في اختياره لروي الجيم المردوف في قوله[1] :

لَجِجْتُ وكُنْتُ في الذّكرى لَجُوجا لِـهَـمٍّ طالَما بَـعَـثَ الـنَّـشِـيْـجـا

وهو في كل قوافيه يختارُها مطلقةً ولا يقيِّدها بسكونٍ يحبسُ النَّفس وكُلُّ ذلك ليغني الإيقاع .

سابعاً : الموسيقى الدَّاخليَّة :

بَرَعَ وَرقةُ في استخدام موسيقى وأصوات الأحرف وأحسنَ توظيفها . ولنستمع مرَّة أُخرى إلى قوله :

ولَقدْ غَزوْتُ الـحيّ يُخشَى أهلُهُ بعدَ الهدوء وبَعْدَما سَقَطَ النَّدَى

فَوجدْتُ فِـيـهِ حُـرّة قَدْ زُيِّـنَـتْ بالـحلْيِ تَحسبُهُ بها جَمْرَ الغَضا

فَـنَـعِـمْـتُ بالاً إذْ أَتيْتُ فِراشَها وسَقَطْتُ مِنْها حَيْثُ جِئْتُ على هَوَى

فحروف المدّ واللِّين في : النَّدى ، الغضـا ، بـالاً ، فراشـها ، الحلـي ، وكذلك الهاء التي تشبه حروف المدّ في عذوبتها في : الهدوء ، أهلـه ، تحسـبه ، هـوى ، كلُّ ذلك أكسبَ الأبيات موسيقى حلوة وعذبة .

---

(1) انظر القصيدة رقم (3) من هذه الرسالة .

القسـم الثاني

ديــوان

وَرَقَـةَ بْـنِ نَـوْفَـل


http://kotob.has.it

قافية الألف

[1]

قالَ وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ[1] : [من الكامل]

---

(1) <u>التخريج</u> :

الأبيات 1 - 10 في الأغاني 118/3 ، 4 - 5 فيه 119/3 .

والأبيات 1 - 4 ، 7 ، 9 - 10 في شعراء النصرانية ص616 .

والأبيات 9 - 12 في الوحشيات من مقطوعة لسعية بن غريض اليهودي .

والبيتان 9 - 10 في نسب قريش ص208 ، وحماسة البحتري ص252 ، وسمط اللآلي 206/1 ، والتذكرة الحمدونية 266/1 ، وخزانة الأدب 363/3 - 364 ، وبلوغ الأرب 271/2 .

وهما لزهير بن جناب الكلبي في الشعر والشعراء ص296 ، والعقد الفريد 279/1 .

وهما للغريض اليهودي أو لسعية بن الغريض ولده في مجموعة المعاني ص319 .

والأبيات 10 - 12 في بهجة المجالس 310/10 للغريض أو لابنه سعية .

وفي الأغاني في خبر الأبيات 117/3 - 118 : « وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثنا أحمد بن عيسى ، قال : حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي ، قال: حدثني سهل بن المغيرة ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أتمثل بهذين البيتين :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه ... يوماً فتدركه العواقب قد نمى

يجزيك أو يثني عليك وإنّ من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال صلى الله عليه وسلم : « رُدّي عليّ قول اليهودي ، قاتله الله ! لقد أتاني جبريل برسالة من ربي : أيُّما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه . قال أبو زيد : وقد حدثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لوَرَقَةَ بن نوفل ، وقد ذكر الزبير بن بكار أيضاً أن هذا الشعر لورقة بن نوفل ، وذكر هذين البيتين في قصيدة أولها : ... » .

وفي الأغاني 114/3 - 115 : « ارفع ضعيفك لا يحر بك .. الشعر لغريض اليهودي ، وهو السموءل بن عادياء ، وقيل لابنه سعية بن غريض ، وقيل : إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقيل : إنه=

1 رَحَلَتْ قُـتَـيْـلَـةُ عِيْرَهَا قَبْلَ الضُّحَى	وأَخالُ أَنْ شَحَطَتْ بِجارَتِكَ النَّوَى[1]
2 أَوَ كُـلَّـمـا رَحَـلَـتْ قُـتَـيْـلَـةُ غُدْوَةً	وغَدَتْ مُـفَـارِقَـةً لأَرْضِهِمِ بَكَى[2]
3 ولَقَدْ رَكِبْتُ عَلَى السَّفِيْنِ مُلَجِّجاً	أَذَرُ الصَّدِيْقَ وأَنْـتَـحِـي دَارَ العِدَا[3]

- لورقة بن نوفل ، وقيل إنه لزهير بن جنابٍ ... » .

وفي بهجة المجالس وأنس المجالس 310/1 - 311 : « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها تنشد لليهودي :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه	يوماً فتدركه العواقب قد نمى
يجزيك أو يثني عليك وإن من	أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال : قاتله الله ! ما أحسن ما قال ! مَنْ لم يجد إلا الدعاء والثناء فقد كافأ » .

(1) في شعراء النصرانية ضبط : « قَتيلة » بفتح القاف . وفيه : « وإخال إن شحطت تجاريك النوى» وهو تصحيف .

المفردات :

قتيلة : اسم امرأة . والعير : القافلة ، أو الإبل بأحمالها . وأراد هوادج النساء الراحلات . وشحطت : بعدت . والنوى : الجهة التي يقصدون .

المعنى :

لقد ارتحلت يا صاحبي الحبيبة قتيلة على عيرها قبل طلوع الشمس ، وأحسب أن نيتها ستبعد منزلها عنك .

(2) **المفردات :**

الغدوة : ما بين الفجر والشروق . وغدت : ارتحلت مفارقة .

المعنى :

أفي كل غدوة ترتحل قتيلة مفارقة ديارها ، تاركة وراءها ذكرى تحزن وتبكي لذلك ؟

(3) **المفردات :**

السفين والسفائن والسفن : جمع سفينة ، أراد تعوم هذه الحمول في الصحراء كعوم السفين . والملجج : الذي يخوض لجج البحر . وأنتحي : أميل وأتجه . وأذر الصديق : أتركه . -

4 ولَقَدْ دَخلْتُ البَيْتَ يُخْشَى أَهْلُهُ   بَعْدَ الهُدُوءِ وبَعْدَما سَقطَ النَّدَى[1]

5 فَوَجَدْتُ فِيْهِ حُرَّةً قَدْ زُيِّنَتْ   بالحلْي تَحْسَبُهُ بِهَا جَمْرَ الغَضَا[2]

6 فَنَعِمْتُ بَالاً إِذْ أَتَيْتُ فِرَاشَهَا   وسَقَطْتُ مِنْها حِيْنَ جِئْتُ عَلَى هَوَى[3]

- المعنى :

أراد ركب ناقته المسرعة التي تعوم في الصحراء كعوم السفين في لجج البحر تاركاً الصديق ومتجهاً للأعداء .

(1) في الأغاني 119/3 : « ولقد طرقت البيت » . وفي شعراء النصرانية : « ولقد غزوت الحيّ يخشى أهله بعد الهدوّ ... » .

المفردات :

قوله : يخشى أهله : كناية عن عزتهم وقوتهم حتى يخشاهم مَنْ يدخل ديارهم .

وفي اللسان « هدأ » : « .. وأتانا بعد هُدْءٍ من الليل وهَدْءٍ وهَدأةٍ وهديءٍ فعيلٍ ، وهدوءٍ ، فعول، أي : بعد هزيع من الليل ، ويكون هذا الأخير مصدراً وجمعاً ، أي : حين سكن الناس » .

الندى : البلل . والندى : ما يسقط بالليل .

المعنى :

يقول : لقد دخلت منزلها خفية بعدما نزل المطر ومضى جزء من الليل ، مع علمي بشدة أهلها وبأسهم .

(2) المفردات :

الحرة : الكريمة من النساء . والحلي : ما تُزُيِّنَ به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة . والغضا : شجر .

المعنى :

دخلت البيت خلسة فوجدت فيه كريمة حرة قد تزينت بأنواع الحلي ، تحسبه من بريقه وتوهجه كجمر شجر الغضا .

(3) المفردات :

نعمت بالاً ، أي : قرّت عيني وهدأت بما رأت . والبال : الحال والشأن . والهوى : الحب . =

7 فَـلَـتِـلْكَ لَذّاتُ الشَّبَابِ قَضَيْـتُـهَـا عَـنّـي فَسَائِلْ بَعْضَهُمْ ماذَا قَضَى[1]

8 فَـرَجُ الرَّبابِ فَلَيْسَ يُـؤْدِي فَـرْجُـهُ لا حَـاجَـةً قَـضَّـى ولا مَاءً بَـغَـى[2]

9 فَارْفَعْ ضَعِيْفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُـهُ يَوْماً فَـتُـدْرِكَـهُ العَوَاقِبُ قَدْ نَـمـا[3]

= **المعنى :**

يقـول : عندمـا دخلت عليها في خدرها قـرّت عينـي بما رأت وهـدأ بـالـي ، ووقعت فيهـا على هواي .

(1) **المفردات :**

اللذات : جمع لذة . واللـذة : نقيـض الألم ، ولـذات الشباب ، أراد نعمتـه وفرحـه وسروره بما يقطف . والشباب : الفتاء والحداثة .

المعنى :

يقول : هذا ما قطفته من الشباب ولهوه ومرحه ، فاسأل بعض هـؤلاء عمـا قضـوه وأخـذوه من شبابهم .

(2) **المفردات :**

الفرج : انكشاف الكرب وذهاب الغمّ . والرباب : السحاب الـذي قـد ركـب بعضـه بعضاً وتدلى . وأراد بقوله : فرج الرباب أمطاره التي تفرج الغم وتعطي الخير والبركـة . وأدى : أمكن وأعطى ، أخذ من قولهم : أدى السقاء يأدي أُدِيًّا : أمكن .

المعنى :

يقول : وكأن هذا الحب لا خير منه ، ولا نهاية تنتظر منـه ، فهـو كـالذي يرجـو فـرج همّـه من السحاب ، لكنه لا يطول غاية ، ولا ماء .

(3) في الوحشيات ونسب قريش والشعر والشعراء وحماسة البحتري والعقد الفريد والتذكرة الحمدونيـة وخزانة الأدب وبلوغ الأرب : « ارفع ضعيفك » . وفي الشعر والشعراء والعقد الفريـد : « فتدركـه عواقب ما جنى » .

المفردات :

في نسب قريش ص207 والخزانة 363/3 : « فأما ورقة بن نوفل . فلم يعقب ؛ وكان قد كره عبادة الأوثان ، وطلب الدين في الآفاق ، وقرأ الكتب . وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن =

10 يَجْزِيْكَ أَو يُثْنِي عَلَيْكَ وإنَّ مَنْ أَثْنى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى[1]

11 إنَّ الكَرِيْمَ إِذَا أَرَادَ وِصَالَنَا لَمْ يُلْفِ حَبْلِي وَاهِياً رَثَّ القُوَى[2]

= أمر النبي صلى الله عليه وسلم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبُّوا ورقة بن نوفل ، فإني رأيته في ثياب بيض» . وهو الذي يقول : ارفع ضعيفك .... » .

وفي الشعر والشعراء بعد ذكره للبيتين ص297 : « وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها ، وهي تتمثل به ، فكان يقول لها : كيف الشعر الذي كنتِ تتمثلين به ؟ فإذا أنشدته إياه ، قال : يا عائشة إنه لا يشكرُ اللهَ مَنْ لا يشكر الناس » .

يحر : يرجع ؛ من الحور : وهو النقصان بعد الزيادة ، لأنه رجوع من حال إلى حال . والعواقب : جمع عاقبة ، وعاقبة كل شيء : آخره . وأراد الحوادث . ونما : زاد وكثر . ولعله أراد بضعيفك: اللسان ، أو الفؤاد .

المعنى :

يطلب من نفسه أن يبقى قوياً ، ويرفع ضعيفه ، فلا يرجعك ضعفه إلى الوراء ، فالأيام والحوادث سوف تزيده وتنميه .

(1) في الوحشيات : « يثني عليك فقد » . وفي نسب قريش والشعر والشعراء وحماسة البحتري والخزانة : « فعلت كمن جزى » . وفي مجموعة المعاني وسمط اللآلي والتذكرة الحمدونية : « بما صنعت فقد جزى » .

المفردات :

يجزيك : من الجزاء ؛ وهو المكافأة على الشيء ، والجزاء يكون ثواباً ويكون عقاباً . ويثني : من الثناء ، وهو ما تصف به الإنسان من مدحٍ أو ذمٍّ .

المعنى :

يتابع الشاعر حديثه وحكمته التي بدأها في البيت السابق ، فيقول : وقتها قد يكافئك ، أو يمدحك بحسن الثناء ، وإن فعل ذلك ، يكون قد قضى برد الجميل .

(2) في الوحشيات : « إذا أردت إخاءه لم تُلْفِ ... » .

المفردات :

الكريم : الذي كرم نفسه عن التدنس ؛ وقيل : الكريم : الرجل الحسيب . والوصال : الوصل ؛ وأراد حبل الوصل والتقرب والود ؛ والواهي : الرث الضعيف . والرث : الخلق البالي . والقوى :=

12 أَرْعَى أَمَانَتَهُ وأَحْفَظُ غَيْبَهُ   جَهْدِي فَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ ما أَتَى [1]

* * *

– جمع قوة . وأراد متانة حبل المودة والوصال .

المعنى :

إن الكريم الشريف إذا أراد وصلنا والتقرب إلينا ، سيجد حبل وصلنا قوياً مبرماً .

(1) في الوحشيات : « وأحفظ عهده عندي ويأتي بعد ... » .

المفردات :

أرعى أمانته : أحفظها . والأمانة ضد الخيانة . وأراد بعهده : عهد المودة . وأحفظ غيبه : الغيب: ما غاب عنك . وأراد أحفظ عهده مدة غيابه . والجهد : الطاقة .

المعنى :

أراد أنه سيحافظ على عهد وأمانة صاحبه طيلة غيابه ، قدر استطاعته وجهده .

قافية الباء

[2]

جاء في مروج الذهب 73/1 ، 88/1 : « ثَمَّـةَ مَـنْ يزعـم أنّ ورقـةَ بـنَ نوفـلٍ ، مات نصرانيًّا ، ولم يدرك ظهور النبي ﷺ ، ولم يتيسّر له أمره . وثمّـةَ مَـنْ رأى أنـه مات مسلماً ، ومدح النبي ﷺ ، فقال »[1] : [من البسيط]

1 يَـعْـفُـو ويَصْفَحُ لا يَجْزِي بِـسَيِّـئَةٍ وَيَكْظمُ الغَيْظَ عِندَ الشَّتْمِ والغَضَبِ[2]

* * *

---

(1) التخريج :

البيت في مروج الذهب 88/1 .

(2) المفردات :

يجزي : من الجزاء ، وهو المكافأة على الشيء . وفي اللسان «كظم» : « كظم الرجـل غيظـه : إذا اجترعه ... وفي التنزيل : والكاظمين الغيظ ؛ فسّره ثعلـب ، فقـال : يعـني الحابسـين الغيـظ لا يجازون به » . والغيظ : الغضب ؛ وقيل : هو أشد من الغضب . والشتم : قبيح الكـلام ، وليـس فيه قذفٌ .

المعنى :

يصف الرسول الكريم وشمائله العظيمة ، فيقول : إنه يعفو ويصفـح عـن الآخريـن الذيـن يخطئـون بحقه ، ولا يجازيهم بأعمالهم ، كما أنه ليس كـالآخرين الذيـن ينفعلـون عنـد الغضـب بـل يكظـم غيظه ، ويخفي غضبه .

قافية الجيم

[3]

جاء في السيرة النبوية لابن هشام 191/1 : « قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانيًّا قد تَتَبَّع الكتب ، وعَلِم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلانه ؛ فقال لورقة : لئن كان هذا حقًّا يا خديجة ، إنّ محمداً لنبيُّ هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائنٌ لهذه الأمة نبيّ ينتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال ... فقال ورقة في ذلك ... » .

وقال[1] : [من الوافر]

---

(1) التخريج :

الأبيات 1 - 13 في السيرة النبوية لابن هشام 191/1 - 192 ، والبداية والنهاية 296/2 - 297 ، والسيرة الجامعة ص117 - 118 ، والحماسة المغربية 108/1 - 109 ، وبلوغ الأرب 270/2 - 271 .

والأبيات 1 - 8 ، 10 - 13 في خزانة الأدب 362/3 - 363 .

والأبيات 1 -7 ، 9 - 13 في السيرة النبوية لابن كثير 268/1 .

والأبيات 1 - 7 ، 9 - 12 في البداية والنهاية 10/3 .

والأبيات 1 - 10 ، 12 - 13 في المقاصد النحوية 366/1 - 367 .

والأبيات 1 - 8 ، 12 في تاريخ الإسلام للذهبي ص 124 - 125 .

والبيت التاسع في كتاب العين 67/1 «عج» ، ومقاييس اللغة 28/4 ، وشرح التصريح 111/1 .

وفي المقاصد النحوية 365/1 - 366 : « فيا ليتي إذا ما .... أقول قائله هو ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى بن قصي القرشي ، ابن عم خديجة رضي الله عنها ، وهو الذي أخبر خديجة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيّ هذه الأمة ، لـمّا أخبرته بما رأى النبي صلى الله عليه وسلم لـمّا أوحي إليه . وخبره معه مشهور ، وهو من قصيدة جيمية قالها ورقة بن نوفل -

1 لَجِجْتُ وكُنتُ في الذِّكْرَى لَجُوجا لِهَمٍّ طَالَما بَعَثَ النَّشِيْجَا[1]

2 ووَصْفٍ مِنْ خَدِيجةَ بَعْدَ وَصْفٍ فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يا خَدِيْجا[2]

3 بِبَطْنِ المَكَّتَيْنِ عَلَى رَجَائِي حَدِيثكِ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجا[3]

- لما ذكرت خديجة عن غلامها ميسرة ، ما رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره ، وما قاله بحيرا الراهب في شأنه ... » .

(1) **المفردات :**

في المقاصد النحوية 367/1 : « قوله : لججت من باب علم يعلم ، تقول : لجّ يلجّ لجاجاً ولجاجة ، فهو لجوجٌ : إذا كان متمادياً في الخصومة . والذكرى : مصدر من ذكر . قوله : النشيجا ، بفتح النون : مصدر نشج الباكي ينشج نشيجاً : إذا غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب » .

المعنى :

يقول : تماديت في الذكرى وأبيت أن تنصرف عنها ، هذا الهم والأمر العظيم طالَما أبكاك ، وغصّ البكاء في حلقك .

(2) **المفردات :**

خديجة : هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى ، زوج الرسول صلوات الله عليه .

وقوله : يا خديجا ، أصله : يا خديجة .

(3) في السيرة الجامعة والحماسة المغربية : « على رجاءٍ » .

المفردات :

في حاشية الخزانة 362/1 - 363 : « ثنى مكة ، وهي واحدة لأن لها بطاحاً وظواهر ... وكانت قريش قبيل الإسلام فريقين : أحدهما قريش الظواهر ، وهم الذين يتحرجون أن يبنوا إلى جنب بيت الله بيوتاً . فنزلوا في ظواهر مكة ، والآخرون المقيمون ببطحاء مكة مجاورين البيت ، كان يقال لهم قريش البطاح » .

الهاء في « منه » : راجعة على الحديث . والباء في : « ببطن » متعلقة بانتظاري .

المعنى :

لقد طال انتظاري - ببطن المكتين - وأنا أرجو أن يتحقق حديثك ، كي ينتهي قلقي وهمّي .

قافية الجيم

[3]

جاء في السيرة النبوية لابن هشام 191/1 : « قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانيًّا قد تَتَبَّع الكتب ، وعَلِم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلانه ؛ فقال لورقة : لئن كان هذا حقًّا يا خديجة ، إنّ محمداً لنبيُّ هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائنٌ لهذه الأمة نبيّ ينتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال ... فقال ورقة في ذلك ... » .

وقال[1] : [من الوافر]

---

(1) **التخريج :**

الأبيات 1 - 13 في السيرة النبوية لابن هشام 191/1 - 192 ، والبداية والنهاية 296/2 - 297 ، والسيرة الجامعة ص117 - 118 ، والحماسة المغربية 108/1 - 109 ، وبلوغ الأرب 270/2 - 271 .

والأبيات 1 - 8 ، 10 - 13 في خزانة الأدب 362/3 - 363 .

والأبيات 1 -7 ، 9 - 13 في السيرة النبوية لابن كثير 268/1 .

والأبيات 1 - 7 ، 9 - 12 في البداية والنهاية 10/3 .

والأبيات 1 - 10 ، 12 - 13 في المقاصد النحوية 366/1 - 367 .

والأبيات 1 - 8 ، 12 في تاريخ الإسلام للذهبي ص 124 - 125 .

والبيت التاسع في كتاب العين 67/1 «عج» ، ومقاييس اللغة 28/4 ، وشرح التصريح 111/1 .

وفي المقاصد النحوية 365/1 - 366 : « فيا ليتي إذا ما .... أقول قائله هو ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى بن قصي القرشي ، ابن عم خديجة رضي الله عنها ، وهو الذي أخبر خديجة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيّ هذه الأمة ، لـمّا أخبرته بما رأى النبي صلى الله عليه وسلم لـمّا أوحي إليه . وخبره معه مشهور ، وهو من قصيدة جيمية قالها ورقة بن نوفل -

1 لَجِجْتُ وكُنتُ في الذِّكْرَى لَجُوجا ... لِهَمٍّ طَالَما بَعَثَ النَّشِيْجَا[1]

2 ووَصْفٍ مِنْ خَدِيجةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يا خَدِيْجا[2]

3 بِبَطْنِ المَكَّتَيْنِ عَلَى رَجَائِي ... حَدِيثَكِ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجا[3]

- لما ذكرت خديجة عن غلامها ميسرة ، ما رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره ، وما قاله بحيرا الراهب في شأنه ... » .

(1) **المفردات :**

في المقاصد النحوية 367/1 : « قوله : لججت من باب علم يعلم ، تقول : لجّ يلجّ لجاجاً ولجاجة ، فهو لجوجٌ : إذا كان متمادياً في الخصومة . والذكرى : مصدر من ذكر . قوله : النشيجا ، بفتح النون : مصدر نشج الباكي ينشج نشيجاً : إذا غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب » .

المعنى :

يقول : تماديت في الذكرى وأبيت أن تنصرف عنها ، هذا الهم والأمر العظيم طالَما أبكاك ، وغصّ البكاء في حلقك .

(2) **المفردات :**

خديجة : هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى ، زوج الرسول صلوات الله عليه .
وقوله : يا خديجا ، أصله : يا خديجة .

(3) في السيرة الجامعة والحماسة المغربية : « على رجاءٍ » .

المفردات :

في حاشية الخزانة 362/1 - 363 : « ثنى مكة ، وهي واحدة لأن لها بطاحاً وظواهر ... وكانت قريش قبيل الإسلام فريقين : أحدهما قريش الظواهر ، وهم الذين يتحرجون أن ينوا إلى جنب بيت الله بيوتاً . فنزلوا في ظواهر مكة ، والآخرون المقيمون ببطحاء مكة مجاورين البيت ، كان يقال لهم قريش البطاح » .
الهاء في « منه » : راجعة على الحديث . والباء في : « ببطن » متعلقة بانتظاري .

المعنى :

لقد طال انتظاري - ببطن المكتين - وأنا أرجو أن يتحقق حديثك ، كي ينتهي قلقي وهمّي .

4 بِـمـا خَـبَّـرْتِـنـا مِـنْ قَـولِ قَـسٍّ ... مِنَ الـرُّهْـبَـانِ أَكْـرَهُ أَنْ يَـعُـوجـا[1]

5 بِـأَنَّ مُـحَـمـدًّا سَـيَـسُـودُ فِـيـنـا ... ويَـخْـصِـمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيْجا[2]

6 ويُـظْـهِـرُ فـي الـبِـلادِ ضِـيـاءَ نُـورٍ ... يُـقِـيـمُ بِـهِ الـبَـرِيَّـةَ أَنْ تَـمُـوجـا[3]

---

(1) في الحماسة المغربية : « بِما حدثتنا من » . وفي السيرة الجامعة : « فما خبرتني من قـول » . وهـو تصحيف . وفي المقاصد النحوية : « من الركبان أكره » .

المفردات :

القسّ : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم ؛ وقيل : هو الكيّس العالم . والراهب : المتعبد في الصومعة ، واحد رهبان النصارى . ويعوج : يميل ويحيد عن القصد ، فلا يتحقق .

المعنى :

ما خبرتينا به من حديث أحد رؤساء النصارى ، ذاك المترهب المتعبد في صومعتـه ، أكـره أن يميـل ويحيد عن قصده ، وأن لا يتحقق .

(2) في تاريخ الإسلام والبداية والنهاية والسيرة الجامعة والحماسة المغربية والمقاصد النحوية : «سيسـود قوماً » . وفي السيرة النبوية لابن كثير والخزانة : « سيسود يوماً » .

المفردات :

يخصم : يغلب بالحجة . والحجيج : الذي يحاجحك بالحجج .

المعنى :

يقول إن محمداً ورسالته ستسود فينا ، وسيغلب بحججه القوية وأفكاره السامية من يحاججه ، لأنه صاحب الدليل والبرهان .

(3) في البداية والنهاية : « ويقوم به البرية » . وهو تصحيف . وفيه : « أن تعوجا » .

المفردات :

يظهر : يبدي ، وأراد محمداً برسالته . والبرية : الخلق . وتموج : تضطرب فلا تستقر .

المعنى :

وسيظهر هذا النبي نور الهداية والحق ، هذا النور سيهدي البشرية ، فهذا الحـق يقيـم أمرهـا ويبعـد عنها الاضطراب والفوضى .

7 فَيَلْقَى مَنْ يُحارِبُهُ خَسَاراً   ويَلْقَى مَنْ يُسالِمُهُ فُلُوجا[1]

8 فَيا لَيْتِي إذا مَا كَانَ ذاكُمْ   شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوْجا[2]

9 وُلُوجَا في الذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ   وَلَو عَجَّتْ بِمَكّتِها عَجِيْجَا[3]

10 أُرَجِّي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيْعاً   إِلى ذِي العَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجا[4]

---

(1) في المقاصد النحوية : « من يحاربه خروجاً » .

المفردات :

الخسار : الضلال والهلاك . والفلوج على الخصم : الظفر به .

المعنى :

إن من يسالمه ويدخل دينه سيلقى فوزاً بجنته . ومن يكذبه ويعاديه فسيكون مصيره الضلال والهلاك .

(2) في السيرة الجامعة والمقاصد النحوية : « ولجت وكنت أولهم » .

المفردات :

في المقاصد النحوية 368/1 : « قوله : ولوجاً ، أي : دخولاً في الذي كرهت قريش ، وأراد به الدخول في الإسلام ، فإن قريشاً كانوا كرهوا ذلك .

قوله : أولهم ولوجاً ، أي : أول قريش ، وأول الناس دخولاً ، أي : في الإسلام . وبهذا حكم الجمهور بإسلام ورقة رضي الله عنه » .

(3) في البداية والنهاية : « لو كان الذي كرهت » . وهو تصحيف .

المفردات :

في المقاصد النحوية 368/1 : « قوله : عجت ، من العجّ ، وهو رفع الصوت . قوله : بمكّتها : الضمير يرجع إلى قريش ، وإنما ذكر مكة باعتقاد الشياع فيها » .

المعنى :

يقول : سأدخل في هذه الدعوة التي تكرهها قريش ، ولو صدحت قريش بأصوات التهديد والوعيد.

(4) في السيرة الجامعة : « وإن سلفوا عروجا » . وهو تصحيف ظاهر . وفي البداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير : « إذْ سفلوا عروجا » .

المفردات :

أرجي ، أي : أرجو . وقوله : عروجاً : مفعول لقوله أرجي ، أي : أرجي عروجاً . والعروج : الصعود والعلو .

11 وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ	بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجا[1]
12 فَإِنْ يَبْقَوا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ	يَضِجُّ الكَافِرُونَ لَها ضَجِيْجَا[2]
13 وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَى	مِنَ الأَقْدارِ مَتْلَفَةً خَرُوجا[3]

= المعنى :

أسأل الله وأرجو الصعود والعلو في هذا الدين المحمدي ، وإن كرهت قريش ذلك .

(1) في الحماسة المغربية والخزانة : « أمر السفاهة غير » .

المفردات :

السفالة : النذالة ؛ وسفلة القوم : أراذلهم . والسفاهة : خفة الحلم والطيش ؛ والسفيه : الجاهل. وسمك البروج : رفعها . والبروج : الكواكب العظام ، الواحد برج .

المعنى :

يتساءل الشاعر عن حقيقة اعتقاد أهل قريش ، فهم قد جحدوا نعمة الإيمان التي وهبهم إياها من رفع هذه الكواكب العظيمة بلا عمد .

(2) في البداية والنهاية : « يكن أمورٌ » . وهو تصحيف . وفي المقاصد النحوية : « تضجّ الكافرون».

المفردات :

الأمور : الحوادث . وضجّ القوم يضجون ضجيجاً : فزعوا من شيء وغُلِبوا . والضجيج : الصياح عند المكروه والمشقة والجزع .

المعنى :

أراد إذا بقيت حيًّا ودخلت الدعوة ، وبقي الكافرون على عنادهم وكفرهم ، فستكون حوادث عظيمة يتعالى فيها الضجيج والصياح .

(3) في السيرة الجامعة والخزانة : « متلفةً حروجاً » بالحاء المهملة .

المفردات :

أهلك : أموت . والمتلفة : المهلكة . والحروج : الكثيرة التصرف . والخروج : نقيض الدخول . وأراد مهلكة تخرجه من الدنيا .

المعنى :

أراد إذ متّ فهذا قدري وقدر كل إنسان في الدنيا ، فلا بدّ من متلفة تصيبه وتخرجه من هذه الحياة الدنيا.

قافية الحاء

[4]

قال ورقة[1] : [من الطويل]

1	أَتُـبْـكِـرُ أَمْ أَنْـتَ الـعَـشِـيَّـةَ رَائِـحُ	وفي الصَّدْرِ مِنْ إِضْمارِكَ الحُزْنَ قَادِحُ[2]
2	لِـفُـرْقَـةِ قَـومٍ لا أُحِـبُّ فِـراقَـهُـمْ	كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَـوْمَـيْـنِ نَازِحُ[3]

---

(1) **التخريج :**

الأبيات 1 – 16 في البداية والنهاية 297/2 .

والأبيات 1 – 8 ، 10 – 16 في السيرة النبوية لابن كثير 269/1 .

والأبيات 1 – 12 في الروض الأنف 127/1 ، والسيرة الجامعة ص118 ، وخزانة الأدب 365/3 – 366 ، وبلوغ الأرب 274/2 .

والأبيات 3 ، 7 – 12 في البداية والنهاية 10/3 .

والأبيات 3 ، 7 – 8 ، 11 – 12 في السيرة النبوية لابن كثير 400/1 .

والأبيات 1 – 3 ، 7 – 8 في عيون الأثر 64/1 .

(2) في السيرة الجامعة : « العشية رايح » . بالتخفيف .

المفردات :

بكر على الشيء وأبكر : أتاه بُكرة ؛ والبكرة : الغدوة . والرائح : الراجع في العشي . وإضمارك الشيء : إخفاؤه في الصدر . والقادح : المؤلم المؤثر الذي يترك صدعاً في النفس ، أخذ من قولهم : القادح : الصدع في العود .

المعنى :

يتساءل الشاعر بقوله : أتبكر بالخروج غدوة ، أم أنـك عـائد في المسـاء ، وصـدرك مـا زال يخفي الهم والحزن الذي يصدعه .

(3) **المفردات :**

النازح : البعيد . وأراد بعيد الارتحال .

3 وأَخْبارِ صِدْقٍ خُبِّرْتُ عَنْ مُحمَّدٍ	يُخَبِّرُها عَنْهُ إذا غَابَ نَاصِحُ[1]
4 فَتاكِ الَّذِي وجَّهْتِ يا خَيْرَ حُرَّةٍ	بغَورٍ وبِالنَّجْدَيْنِ حَيْثُ الصَّحاصِحُ[2]
5 إلى سُوقِ بُصْرَى في الرِّكابِ التي غَدَتْ	وهُنَّ مِنَ الأَحْمالِ قُعْصٌ دَوالِحُ[3]

- **المعنى :**

إن الحزن الذي يصدع قلبك ، هو من فراق أحبتك الذين ترغب بالبقاء معهم ، حزنك يجعلك وكأنك مرتحل عنهم قريباً .

(1) **المفردات :**

الناصح : الذي يقدم النصيحة . ويقال : رجل ناصح الجيب : نقيّ الصدر ناصح القلب لا غشّ فيه ؛ والنصح : الخلوص .

المعنى :

لقد جاءتنا أخبار صدق عظيمة عن محمد ، هذه الأخبار جاء بها رجل صادق مخلص لا غش في كلامه .

(2) في البداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير : « أتاك الذي وجهت » . وفي بلوغ الأرب : «وفي النجدين حيث » . وهو تصحيف . وفي السيرة الجامعة : « حيث الضخاضح » . وهو تصحيف .

المفردات :

فتاك : الخطاب للسيدة خديجة ، والحديث عن فتاها ميسرة الذي أرسلته برفقة الرسول الكريم في تجارة للشام . والحرة : الكريمة الأصل . والغور : المنخفض ، وأراد غور الأردن . والصحاصح : جمع الصحصح والصحصاح والصحصحان ، وهو ما استوى من الأرض وجرد .

المعنى :

إن فتاك ميسرة الذي وجهته مع محمد في رحلته التجارية ، أيتها الكريمة الأصيلة ، هذه الرحلة التي قطعت النجدين ووصلت للغور .

(3) في السيرة الجامعة : « قعصٌ ذوابح » . وهو تصحيف . وفي بلوغ الأرب : « قعصٌ ذوائح » . وهو تصحيف .

6 يُخَبِّرنا عَنْ كُلِّ حِبْرٍ بِعِلْمِهِ   ولِلحَقِّ أَبْوابٌ لَهُنَّ مَفاتِحُ[1]

7 بِأَنَّ ابنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ   إلى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَباطِحُ[2]

- **المفردات :**

بصرى : موضع بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، وهي مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ، وبها سوق عظيمة . والركاب : الإبل الرواحل التي يُسار عليها ، واحدتها راحلة، ولا واحد لها من لفظها . وغدت : خرجت باكراً . والدوالح : أشجار النخيل المثقلة من كثرة الحمل ، مفردها دالحة . وقعص : جمع قعصاء ، وهي التي رميت فماتت مكانها .

المعنى :

كان غدو هذه الرواحل إلى سوق بصرى مبكراً ، وهي تحمل الأحمال الثقيلة ، حتى تغدو من بطئها في سيرها ، وكأنها قد رميت فماتت مكانها . أراد كثرة الأحمال وثقلها .

(1) في السيرة النبوية لابن كثير والسيرة الجامعة : « فيخبرنا عن كل خيرٍ بعلمه » .

المفردات :

في اللسان «حبر» : « الحبر ، بالفتح : ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه ... وقال ابن الأعرابي : حِبْرٌ وحَبْرٌ للعالم ... الجوهري : الحِبْرُ والحَبْرُ ، واحد أحبار اليهود ، وبالكسر أفصح » . وفيه « حقق » : « وقوله تعالى : ولا تلبسوا الحق بالباطل ؛ قال أبو إسحاق : الحق أمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وما أتى به من القرآن ... » .

المعنى :

إن فتاك يا خديجة ميسرة يخبرنا أخباراً جديدة عظيمة عما سمعه من أحد الأحبار العلماء ، فالحق واضح ، وأبوابه معروفة مفاتيحها .

(2) في السيرة الجامعة : « كل ما ضَمَّت » .

المفردات :

المرسل : الرسول . والأباطح : جمع الأبطح ، وهو بطن الوادي ومسيله ، ويكون فيه التراب والحصى اللين ، مِمّا قد جرّته السيول . وقوله : ضمت عليه الأباطح ، أي : ضمته . وكنى عن البلاد بالأباطح .

المعنى :

يخبرنا عن محمد بأنه سيكون نبياً مبعوثاً هادياً إلى كل من سكن البلاد والأباطح .

8	وظَنّي بِهِ أَنْ سَوفَ يُبْعَثُ صَادِقاً	كَما أُرْسِلَ العَبْدانِ : هُودٌ وصَالِحُ [1]
9	ومُوسَى وإبراهِيمُ حَتَّى يُرَى لَهُ	بَهاءٌ ومَنْشُورٌ مِنَ الذِّكْرِ واضِحُ [2]
10	ويَتْبَعُهُ حَيّا لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ	شَبَابُهُمُ والأَشْيَبُونَ الجَحاجِحُ [3]

---

(1) **المفردات :**

يبعث ، أي : من قبل ربّه . والصادق : الذي يصدق فيما يبلغ به . والعبد : عبد الله ، وهو الإنسان حرًّا كان أو مملوكاً . وأراد النبيان .

المعنى :

يقول : وأظن أن محمداً سيبعثه الله نبياً صادقاً ، يصدق بما أنزل عليه ، تماماً كما كان النبيان هود وصالح قبله.

(2) في البداية والنهاية : « ومنشورٌ من الحقّ » .

المفردات :

البهاء : المنظر الحسن الرائع المالئ للعين . وقيل : البهاء : الحُسْنُ . والذكر : الشيء يجري على اللسان . وقوله : منشور من الذكر ، أي ينتشر ذكره وذكر دينه فيضحي على كل لسان .

المعنى :

وكما أرسل النبيان موسى وإبراهيم الخليل ، سيرسل محمد حتى يظهر له بهاء وحسن رائع وينتشر ذكره وذكر نبوته بين الناس .

(3) في السيرة النبوية لابن كثير : « حيّا لؤي وغالب » . وهو تصحيف .

المفردات :

الحي : الواحد من أحياء العرب . والحي : البطن من بطون العرب . ولؤي : هو لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . يقول ابن حزم عن والده غالب : وفيه البيت والعدد ، نعني بالبيت حيث ما ذكرناه الشرف ، وبالعدد الكثرة . « انظر جمهرة أنساب العرب ص12 » . والجحاجح : جمع جحجاح، وهو السيد السمح الكريم ؛ ولا توصف به المرأة .

المعنى :

ويتابع الشاعر حديثه عن الرسول الكريم ، فيقول : وسيدخل في دينه أبناء لؤي بن غالب شبابه وشيبه ، فهم أسياد كرماء شجعان .

11 فَإِنْ أَبْقَ حَتَّى يُدرِكَ النَّاسُ أَمْرَهُ … فَإِنِّي بِهِ مُسْتَبْشِرُ الوُدِّ فَارِحُ[1]

12 وإلا فَإِنِّي يَا خَدِيْجَةُ فَاعْلَمِي … عَنْ أَرْضِكِ في الأَرْضِ العَرِيْضَةِ سَائِحُ[2]

13 فَمُتَّبِعٌ دِيْنَ الذِي أَسَّسَ البِنَا … وكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحُ[3]

14 وأَسَّسَ بُنْيَاناً بِمَكَّةَ ثَابِتاً … تَلأْلأَ فِيْهِ بِالظَّلَامِ المَصَابِحُ[4]

---

(1) في خزانة الأدب وبلوغ الأرب : « يدرك الناس أمره » .

المفردات :

أبقى : أي أبقى حياً حتى ينتشر أمر رسالته . واستبشر بالأمر : إذا فرحت به . وفارح : فاعل من الفرح.

المعنى :

يقول : فإن عشت حتى يذاع صيته وينتشر أمر رسالته ، فإني مستبشر بها وفرح من أجل هذا الأمر العظيم .

(2) **المفردات :**

خديجة : السيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول الكريم صلوات الله عليه . وساح في الأرض سياحة : ذهب في الأرض للعبادة والترهب .

المعنى :

أراد : إذا لم يتحقق هذا الأمر بنزول الوحي على محمد ، فإني - يا خديجة ـ سوف أسوح في الأرض طلباً للعبادة .

(3) **المفردات :**

المتبع : التابع الذي يتبع شيئاً . والبنا : جاء بها مخففة ، واحد الأبنية ، وهي البيوت التي تسكنها العرب . وأراد البيت الحرام الذي بناه سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل . وفضل راجح ، أي : يفضل غيره ويرجح عليه .

المعنى :

يقول : إذا لم ينزل وحي محمد ، فإني سائح في الأرض ومتبع دين إبراهيم الخليل الذي بنى البيت الحرام ، فرجح فضله به على الناس جميعاً .

(4) **المفردات :**

أسس البناء : إذا بنى حدوده ورفع من قواعده . والثابت : الراسخ ؛ وأراد بالبنيان الثابت =

15 مَـثَـابـاً لأَفْـنـاءِ الـقَـبـائِـلِ كُـلِّـهـا   تَخُبُّ إلَيْهِ الـيَـعْـمَـلاتُ الطَّلائِحُ[1]

16 حَراجِيْجُ أَمْثَالَ القِداحِ مِنَ السُّرَى   يُـعَـلِّـقُ فـي أَرْسَـاغِـهِـنَّ السَّرَايِحُ[2]

* * *

- الكعبة المشرفة . وتلألأ ، أي : تتلألأ : تضيء وتلمع . والمصابيح : جمع مصباح .

المعنى :

ويتابع الشاعر قائلاً : ولقد بنى حدود البيت ، ورفع قواعده ، وأصبح البيت قائمـاً ثابتـاً ، تضـيء منه وتشع أنوار الهدى والحق .

(1) المفردات :

في اللسان «ثوب» : « والمثابة : الموضع الذي يثاب إليه ، أي : يُرْجَعُ إليه مرة بعد أخرى . ومنـه قوله تعالى: وإذْ جعلنا البيتَ مثابة للناس وأمناً » .
وأفناء القبائل : أخلاطها . وتخب اليعملات : إذا سارت الخبب ، وهو ضرب من العدو فيه خفّة.
واليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة الدائبة العملة . والطلائح : جمع طليحـة ، وهـي الناقـة الـتي أضمرها الكلال والإعياء من السفر . يقال : سار على الناقة حتى طلحها .

المعنى :

إن هذا البيت هو مرجع الناس إليه يعودون مرة بعد أخرى يأتون إليه مـن كـل حـدب وصـوب ، وهم أخلاط شتى تجمعهم العودة إليه ، وهم يركبون إبلاً أضنتها الرحلة وأتعبتها .

(2) المفردات :

الحراجيج : جمع حرجوج ، وهي الناقة الضامرة . والقداح : جمع قدح ، وهو السهم ، على تشبيه الناقة الضامرة بقدح الميسر . والسرى : سير الليل . الأرساغ : جمع رسغ ، وهـو مـا استدق مـن اليد والرجل ، بين الحافر وموصل الوظيف . والسرائح : سيور من جلد تشدّ في الأرساغ .

المعنى :

يقول هذه الإبل التي أضناها السفر حتى أضحت كقداح الميسر ، وقد علقت السيور في أرساغها .

قافية الدال

[5]

جاء في نسب قريش في ترجمة ورقة بن نوفل ص208 : « فَمَرَّ ببلال بن رباح ، وهو يعذب برمضاء مكة ، فيقول : أَحَدٌ ، أَحَدٌ . فوقف عليه ، فقال : أَحَدٌ ، أَحَدٌ ، والله يا بلال . ونهاهم عنه ؛ فلم ينتهوا ؛ فقال : واللّه لئن قتلتموه ، لأتخذنَّ قبره حناناً(1) ، وقال .... » .

وقال(2) : [من البسيط]

---

(1) أشار الحافظ ابن حجر في كتابه الأصابة 318/6 ، في ترجمة ورقة بن نوفل إلى هذا الخبر ، نقلاً عن الزبير بن بكار ، فقال : « حدثنا عثمان عن الضحاك بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عروة بن الزبير .... » ، ثم قال الحافظ : « وهذا مرسل جيد ، يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، حتى أسلم بلال » . أما قوله : « لأتخذنّ قبره حناناً » . فقد شرحه صاحب النهاية 266/1 بقوله : « أراد : لأجعلن قبره موضع حنان ، أي مظنة من رحمة الله » .

(2) **التخريج :**

الأبيات 1 - 10 في المنتظم في تاريخ الأمم 373/2 - 374 ، وهي بخلاف في الترتيب في معجم البلدان «الجمد» .

الأبيات 1 - 2 ، 4 - 10 في الروض الأنف 125/1 ، والسيرة النبوية لابن كثير 270/1 ، وشعراء النصرانية ص616 - 617 .

والأبيات 1 - 8 في نسب قريش ص208 ، وخزانة الأدب 360/3 ، وبلوغ الأرب 271/2 - 272 .

والأبيات 1 - 2 ، 4 - 7 ، 9 - 10 في البداية والنهاية 297/2 - 298 .

والأبيات 1 - 2 ، 4 - 8 في الأغاني 121/3 .

والأبيات 1 - 2 ، 4 ، 6 ، 8 - 10 في الحماسة البصرية 425/2 .

1 لَقَدْ نَصَحْتُ لأَقْوامٍ وقُلْتُ لَهُم :	أنا النَّذِيْرُ فَلا يَغْرُرْكُمُ أَحَدُ[1]
2 لاَ تَعْبُدُنّ إلهاً غَيْرَ خَالِقِكُمْ	فَإنْ دعِيْتُمْ فَقُولُوا : بَيْنَنَا حَدَدُ[2]
3 سُبْحانَ ذِي العَرْشِ لا شَيءٌ يُعادِلُهُ	رَبُّ البَرِيَّةِ فَرْدٌ وَاحِدٌ صَمَدُ[3]

- والأبيات 6 – 8 ، 10 في العمدة في محاسن الشعر 34/1 .

والأبيات 1 ، 6 – 7 في المستطرف 133/1 .

(1) **المفردات :**

نصح ، أي : أخلص النصح ؛ والنصح : نقيض الغش . والنذير : المنذر . وغرّه يغره غرًّا وغروراً: خدعه وأطعمه الباطل .

المعنى :

يقول : لقد نصحت لأقوام وأخلصت لهم في نصحي ، وقلت لهم : أنا المنذر لكم ، والمحذر لكم ، فلا يخدعكم أحدٌ ويطعمكم الباطل .

(2) في نسب قريش : « لا تعبدون إلاهاً ... فإن أبيتم فقولوا » . وفي الأغاني والروض الأنف والمنتظم في تاريخ الأمم والحماسة البصرية ومعجم البلدان : « فإن دعوكم فقولوا بيننا » . وفي بلوغ الأرب : « فقولوا دونه حدد » . وفي شعراء النصرانية : « لا تعبدون إلهاً ... فإن دعوكم فقولوا » .

المفردات + المعنى :

في خزانة الأدب 360/3 : « قوله : دونه حدد ، بفتح الحاء والدال المهملتين ، قال صاحب الصحاح : دونه حدد ، أي : منع ... وهو من الحدّ ، بمعنى المنع ؛ أي قولوا : نحن نمنع أنفسنا من عبادة إله غير الله ... » .

(3) يبدو أن بعض المصادر التي ذكرت الأبيات حدث فيها خلط بين هذا البيت والبيت الذي يليه حيث ذكر عجز البيت الذي يليه له واعتبرا بيتاً واحد .

ففي الأغاني : « سبحاناً نعوذ به وقبل سبّح الجودي والجمد » . وفي الحماسة البصرية : «سبحاناً يعود له وقبلنا سبّح الجودي والجمد » . وفي معجم البلدان : « سبحاناً يدوم له وقبلنا سبّح الجودي والجمد » .

المفردات :

سبحان الله : معناه تنزيهاً لله من الصاحبة والولد ، وقيل : تنزيه الله تعالى عن كل ما لا –

4 سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَاناً نَعُوذُ بِهِ   وَقَبْلُ سَبَّحَهُ الجُوْدِيُّ والجَمَدُ[1]

- ينبغي له أن يوصف . والعرش : مجلس الرحمن ههنا . والبرية : الخلق . والفرد : الله تعالى وتقدس هو الفرد ، وقد تفرّد بالأمر دون خلقه . والصمد ، بالتحريك : السيد المطاع الذي لا يُقْضَى دونه أمر . والصمد : من صفاته تعالى وتقدّس لأنه أُصْمِدت إليه الأمور فلم يقضِ فيها غيره .

المعنى :

يقول : تسبيحاً لله تعالى ، وتنزيهاً له ، صاحب العرش العظيم ، مالك كل شيء متفرد بالأمر دون خلقه ، لا مثيل له يقصده عباده في أمورهم كي يقضيها لهم .

(1) هذا البيت اختلفت المصادر في نسبته ، فإضافة للمصادر السابقة ، فهو لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص30 ، والكتاب 326/1 ، ومعجم ما استعجم 34/2 ، ولسان العرب « سبح ، جمد ، جود » .

وهو لزيد بن عمرو ابن نفيل في شرح أبيات سيبويه 194/1 . وهو بدون نسبة في المقتضب 217/3 ، وشرح المفصل 37/1 ، 120، 36/4 ، وهمع الهوامع 190/1 .

في نسب قريش : « سبحاناً يعودُ لهُ » . وفي ديوان أمية بن أبي الصلت : « سبحاناً يعود له وقبلنا سبّح » . وفي الأغاني : « وقبل قد سبّح الجودي » . وفي المنتظم : « ثم سبحاناً نعود له » . وفي البداية والنهاية : « ثم سبحاناً يدوم له وقبلنا سبّح » . وفي معجم البلدان : « نسبح الله تسبيحاً نجود به وقبلنا سبّح » . وفي الخزانة : « وقبلنا سبّح الجوديّ » . وفي بلوغ الأرب : «سبحاناً نعود له وقبلنا سبّح » .

المفردات + المعنى :

في الخزانة 360/3 - 361 : « وقوله : نعوذ به ، أي : كلما رأينا أحداً يعبد غير الله عذُنا برحمته وسبّحناه حتى يعصمنا من الضلال وروى الرياشيّ : نعود له ، بالدال المهملة واللام ، أي : نعاوده مرّة بعد أخرى . والجودي : جبل بالموصل ، وقيل بالجزيرة ، كذا ورد في التفسير؛ قال أبو عبيد في المعجم : رُوِيَ أن السفينة استقلّت بهم في اليوم العاشر من رجب ، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء من المحرم .... ورُوي أيضاً وقبل سبّحه الجودي ... إلخ ، بضم لام قبل ... » .

وفي معجم البلدان « الجمد » : « الجُمُد : بضمتين ؛ قال أبو عبيدة : هو جبل لبني نصر بنجد » .

5 مُسَخَّرٌ كُلُّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ   لا يَنْبَغِي أَنْ يُساوِيَ مُلْكَهُ أَحَدُ[1]

6 لا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ   يَبْقَى الإِلَهُ وَيُودِي المَالُ وَالوَلَدُ[2]

7 لَم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْماً خَزَائِنُهُ   والخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَما خَلَدُوا [3]

---

(1) في الأغاني والروض الأنف : « ما تحت السماء » . وفي الأغاني والمنتظم والبداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير ومعجم البلدان وخزانة الأدب وبلوغ الأرب وشعراء النصرانية : « أن يناوي ملكه » .

المفردات :

في خزانة الأدب 361/3 : « وقوله : لا ينبغي أن يناوي . إلخ ، أي : يعادي ؛ وناواه : عاداه ؛ وأصله من الهمز لأنه من النوء ، وهو النهوض . ورُوي : أن يساوي ، أي : لا يعادله » .

المعنى :

الله خالق كل شيء ، وكل ما تحت هذه السماء من مخلوقاته مسخرة لخدمته وطاعته ، ولا يجوز لأيٍّ منها أن تعاديه ، أو تعادله .

(2) هذا البيت جاء في نسب قريش والخزانة وبلوغ الأرب متأخر الترتيب .

في شعراء النصرانية : « مما نرى تبقى » . وفي المستطرف : « بشاشته إلا الإله » . وفي العمدة : « ويفنى المال والولد » . وفي الحماسة البصرية : « ويودي الأهل والولد » .

المفردات :

البشاشة : الطلاقة والحسن . ويودي المال : يقال أودى الشيء ، أي : هلك ، فهو مودٍ .

المعنى :

يقول : كل ما تراه من حسن وجمال يذهب ويزول ، وكل ما يجمع يفنى ، وما يولد من أولاد يهلكون ولا يبقى إلا وجه الله .

(3) في مروج الذهب : « لم يغنِ هرمز شيءٌ من خزائنه » . وفي المستطرف : « يوما ذخائره » .

المفردات :

لم تغنِ ، أي : لم تنفعه وتفيده . والهرمزان : الكبيرمن ملوك العجم . والخزائن : جمع خزانة ، وأراد ما عنده من مال وغيره في خزائنه . وذخائره : مثلها . والخلد : دوام البقاء في دار لا يخرج منها . وعاد : قوم النبي هود عليه السلام .

8 وَلا سُلَيْمانَ إِذْ دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ الجِنُّ وَالإِنْسُ تَجْرِي بَيْنَها البُرُدُ[1]

9 أَيْنَ المُلوكُ التي كَانَتْ لِعِزَّتِها مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْها وَافِدٌ يَفِدُ[2]

- **المعنى :**

يعطي الشاعر حكمته ، فلا شيء يخلد في هذه الدنيا إلا الله ، وها هي عاد بادت ، رغم كل محاولاتها للخلود ، ولا شيء ينفع الإنسان في حياته إلا عمله ، وها هو كبير العجم هرمز قد مات ولم ينفعه غناه وجاهه .

(1) في نسب قريش : « إذْ أدنى الشعوب له » . وفي الحماسة البصرية والعمدة والمنتظم :

ولا سليمان إذْ تجري الرِّياح له والإنس والجنّ فيما بينها تَرِدُ

وفي الأغاني وشعراء النصرانية : « والجن والإنس ... » . وفي السيرة النبوية لابن كثير والروض الأنف ومعجم البلدان :

ولا سليمان إذْ تجري الرِّياح به والإنس والجنّ فيما بيننا تردُ

وفي مروج الذهب : « إذْ تجري الرياح له ... » . وفي بلوغ الأرب : « والإنس يجري بينها » .

المفردات :

في الخزانة 361/3 : « وقوله : ولا سليمان إذ دان ... إلخ ، دان بمعنى ذلّ وأطاع . والشعوب: جمع شَعْب ، بفتح فسكون ، وهو ما تشعب ، أي : تفرق من قبائل العرب والعجم ؛ وبينه هنا بقوله : الجنّ والإنس ؛ وضمير بينها للشعوب . والبرد ، بضمتين : جمع بريد ، وهو الرسول » .

المعنى :

يتابع الشاعر ، فيقول : ولا النبي سليمان الذي دانت وخضعت له شعوب الأرض بخالد هو الآخر .

(2) **المفردات :**

العزة : الرفعة والامتناع . ومن كل أوب ، أي : من كل طريق ووجه وناحية . ووفد فلان يَفِدُ وفادة فهو وافد : إذا خرج إلى ملك أو أمير .

المعنى :

ويتابع الشاعر تساؤله ، فيقول : أين أولئك الملوك العظام أصحاب الرفعة والعزة والمنعة ، الذين كان يفد عليهم الناس من كل صوب وحدب ، ألم يهلكوا ... ؟

5 مُسَخَّرٌ كُلُّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُساوِيَ مُلْكَهُ أَحَدُ[1]

6 لا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى الإِلَهُ وَيُودِي الـمَالُ وَالوَلَدُ[2]

7 لَم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْماً خَزَائِنُهُ والخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَما خَلَدُوا [3]

---

(1) في الأغاني والروض الأنف : « ما تحت السماء » . وفي الأغاني والمنتظم والبداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير ومعجم البلدان وخزانة الأدب وبلوغ الأرب وشعراء النصرانية : « أن يناوي ملكه » .

المفردات :

في خزانة الأدب 361/3 : « وقوله : لا ينبغي أن يناوي . إلخ ، أي : يعادي ؛ وناواه : عاداه ؛ وأصله من الهمز لأنه من النوء ، وهو النهوض . ورُوي : أن يساوي ، أي : لا يعادله » .

المعنى :

الله خالق كل شيء ، وكل ما تحت هذه السماء من مخلوقاته مسخرة لخدمته وطاعته ، ولا يجوز لأيٍّ منها أن تعاديه ، أو تعادله .

(2) هذا البيت جاء في نسب قريش والخزانة وبلوغ الأرب متأخر الترتيب .

في شعراء النصرانية : « مما نرى تبقى » . وفي المستطرف : « بشاشته إلا الإله » . وفي العمدة : « ويفنى المال والولد » . وفي الحماسة البصرية : « ويودي الأهل والولد » .

المفردات :

البشاشة : الطلاقة والحسن . ويودي المال : يقال أودى الشيء ، أي : هلك ، فهو مودٍ .

المعنى :

يقول : كل ما تراه من حسن وجمال يذهب ويزول ، وكل ما يجمع يفنى ، وما يولد من أولاد يهلكون ولا يبقى إلا وجه الله .

(3) في مروج الذهب : « لم يغنِ هرمز شيءٌ من خزائنه » . وفي المستطرف : « يوما ذخائره » .

المفردات :

لم تغنِ ، أي : لم تنفعه وتفيده . والهرمزان : الكبيرمن ملوك العجم . والخزائن : جمع خزانة ، وأراد ما عنده من مال وغيره في خزائنه . وذخائره : مثلها . والخلد : دوام البقاء في دار لا يخرج منها . وعاد : قوم النبي هود عليه السلام .

8 وَلا سُلَيْمانَ إِذْ دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ   الجنُ وَالإِنْسُ تَجْرِي بَيْنَها البُرُدُ[1]

9 أَيْنَ المُلوكُ التي كَانَتْ لِعِزَّتِها   مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْها وَافِدٌ يَفِدُ[2]

- **المعنى :**

يعطي الشاعر حكمته ، فلا شيء يخلد في هذه الدنيا إلا الله ، وها هي عاد بادت ، رغم كل محاولاتها للخلود ، ولا شيء ينفع الإنسان في حياته إلا عمله ، وها هو كبير العجم هرمز قد مات و لم ينفعه غناه وجاهه .

(1) في نسب قريش : « إذْ أدنى الشعوب له » . وفي الحماسة البصرية والعمدة والمنتظم :

ولا سليمان إذْ تجري الرِّياح له   والإنس والجنّ فيما بينها تَرِدُ

وفي الأغاني وشعراء النصرانية : « والجن والإنس ... » . وفي السيرة النبوية لابن كثير والروض الأنف ومعجم البلدان :

ولا سليمان إذْ تجري الرِّياح به   والإنس والجنّ فيما بيننا تردُ

وفي مروج الذهب : « إذْ تجري الرياح له ... » . وفي بلوغ الأرب : « والإنس يجري بينها » .

المفردات :

في الخزانة 361/3 : « وقوله : ولا سليمان إذ دان ... إلخ ، دان بمعنى ذلّ وأطاع . والشعوب: جمع شَعْب ، بفتح فسكون ، وهو ما تشعب ، أي : تفرق من قبائل العرب والعجم ؛ وبينه هنا بقوله : الجنّ والإنس ؛ وضمير بينها للشعوب . والبرد ، بضمتين : جمع بريد ، وهو الرسول » .

المعنى :

يتابع الشاعر ، فيقول : ولا النبي سليمان الذي دانت وخضعت له شعوب الأرض بخالد هو الآخر .

(2) **المفردات :**

العزة : الرفعة والامتناع . ومن كل أوب ، أي : من كل طريق ووجه وناحية . ووفد فلان يَفِدُ وفادة فهو وافد : إذا خرج إلى ملك أو أمير .

المعنى :

ويتابع الشاعر تساؤله ، فيقول : أين أولئك الملوك العظام أصحاب الرفعة والعزة والمنعة ، الذين كان يفد عليهم الناس من كل صوب وحدب ، ألم يهلكوا ... ؟

10 حَوضٌ هُنالِكَ مَـوْرُودٌ بِلا كَذِبٍ لا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْماً كَما وَرَدُوا[1]

* * *

(1) المفردات :

حوض هنالك ، أراد حوض الموت الذي لا بد لكل حيٍّ من وروده .

المعنى :

يقول : كأس الموت لا بد أن يشربها الجميع ، فالجميع سيردون حوض الموت ، كما ورده من سبقهم من البشر ، والموت نهاية كل حيٍّ .

[6]

جاء في نسب قريش ص210 : « ذكروا أن عثمان خرج إلى قيصر ، فسأله أن يملّكه على قريشٍ ، وقال : أحملهم على دينك ، فيدخلون في طاعتك . ففعل ، وكتب له عهداً وختمه بالذهب ؛ فهابت قريشٌ قيصر ، وهمُّوا أن يَدِيْنوا له ؛ ثم قام الأسود بن المطلب ، أبو زَمْعة ؛ فصاح ، والنَّاس في الطواف : إن قريشاً لَقَاحٌ ! لا تَمْلِكُ ، ولا تُمْلَكُ[1] ! فاتّسعت قريش على كلامه ، ومنعوا عثمان مِمّا جاء له؛ فمات عند ابن جفنة[2] ؛ فاتّهمت بنو أسد ابن جفنة بقتله » .

وقال ورقة بن نوفل[3] : [من الكامل]

1 هَلَ اتَى ابْنَتَيْ عُثْمانَ أَنَّ أَبَاهُمَا ... حَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِجَنْبِ الـمَرْصَدِ[4]

---

(1) في اللسان «لقح» : « وقوم لَقَاح ، وحيٌّ لقاحٌ : لم يَدِيْنُوا للملوك ولم يُمْلَكوا ، ولم يُصِبْهم في الجاهلية سِباءٌ » .

(2) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص118 : « ولد الحويرث بن أسد بن عبد العُزّى : عثمان بن الحويرث ، أراد التملك على قريش ، من قبل قيصر ، فامتنعت قريش من ذلك ، فرجع إلى الشأم، وسجن من وجد بها من قريش ، ومن جملتهم أبو أحيحة سعيد بن العاصي ، فدسّت قريش إلى عمرو بن جفنة الغساني ، فسمَّ عثمان بن الحويرث ، فمات بالشأم ، ولا عقب له » .

(3) **التخريج :**

الأبيات 1 - 3 في نسب قريش ص210 .

البيت الأول في معجم ما استعجم 271/3 .

(4) في معجم ما استعجم : « بجنب الفرصدِ » .

وفي حاشية نسب قريش ص210 : « هل اتى : بفتح لام هل ، وتسهيل همزة أتى بنقل حركتها إلى اللام الساكنة قبلها . وهي لغة فصيحة معروفة ، وعليها قراءة ورش ، إحدى فروع القراءات السبعة المعروفة » .

وفي معجم ما استعجم 271/3 : « يعني عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العُزّى ، سمّه =

2 رَكِبَ البَرِيْدَ مُخَاطِراً عَـنْ نَـفْـسِـهِ ... مَيْتَ الـمَـظَـنَّـةِ لِلبَرِيْدِ الـمُـقْـصَـدِ[1]

3 فَـلأَبْـكِـيَـنْ عُـثْـمـانَ حَـقَّ بُـكَـائِـهِ ... وَلأنْـشُـدَنْ عُـمَراً وَإِنْ لَـمْ يُـنْـشَـدِ[2]

* * *

- عمرو بن جفنة هناك » .

المفردات :

المنية : الموت . والمرصد عن العرب : الطريق ؛ والمرصد أيضاً : المكان الذي يُرصد منه . والفرصد : موضع بالشام .

المعنى :

يرثي الشاعر عثمان بن الحويرث ، فيقول : هل أتى خبر نعيه لابنتيه وقد وافته المنية بجانب الطريق .

(1) المفردات :

البريد : كلمة فارسية يراد بها في الأصل البَرْد ، وأصلها : « بريده دم » . أي : محذوف الذنب ، لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها فأعربت ، وخفّفت ، ثم سمّي الرسول الذي يركبه بريداً . ومظنة الشيء : موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه .

المعنى :

لقد ركب الدابة عثمان وهو يخاطر بنفسه ، ويعلم ما يمكن أن يصيبه من مخاطر .

(2) المفردات :

أنشد الشعر : رفع الصوت به .

المعنى :

أراد : سوف أبكين على عثمان بكاء شديداً أفيه فيه حقّه ، ولأقولن فيه شعراً ، وإن لم ينشده أحد .

قافية الراء

[7]

وقال ورقة[1] : [من البسيط]

1 يَا للرِّجَالِ وَصَرْفِ الدَّهْرِ والـقَـدَرِ وَمَا لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللّـهُ مِـنْ غِـيَـرِ[2]

2 جَاءَتْ خَدِيْجَةُ تَدْعُوني لأُخْـبِـرَهَـا وَمَا لنَا بِخَفِيِّ الغَيْبِ مِنْ خَبَرِ[3]

---

(1) **التخريج :**

الأبيات 1 – 12 في السيرة الجامعة ص119 ، وخزانة الأدب 366/3 – 367 ، وبلوغ الأرب 275/2 .

والأبيات 1 – 2 ، 4 – 12 في البداية والنهاية 11/3 ، والسيرة النبوية لابن كثير 401/1 .

والأبيات 1 ، 3 – 12 في الروض الأنف 125/1 .

والأبيات 1 – 2 ، 5 – 6 في الإصابة 318/6 .

(2) في السيرة الجامعة : « لصرف الدهر في القدر » . وفي الروض الأنف : « لصرف الدهر والقدر». وفي الإصابة لم يذكر صاحبها غير العجز .

المفردات :

صرف الدهر : الحوادث والنوائب التي تكون فيه . وغير الدهر : أحواله المتغيرة .

المعنى :

يعطي الشاعر حكمته في الدهر ، فليس من تغيير لقضاء الله ، وحوادث الدهر ونوائبه هي التي تظهر معدن الرجال وصبرهم .

(3) عجز هذا البيت اختلط مع عجز البيت التالي في البداية والنهاية والسيرة لابن كثير .

وفي الإصابة : « هذي خديجة تأتيني لأخبرها » . وفي السيرة الجامعة : « حتى خديجة تدعوني لأخبرها ومالها بخفيٍّ » . =

3 جَاءَتْ لِتَسْأَلَنِي عَنْهُ لأُخْبِرَهَا أَمْراً أَرَاهُ سَيَأْتِي النَّاسَ مِنْ أُخَرِ [1]

4 فَخَبَّرَتْنِي بِأَمْرٍ قَدْ سَمِعْتُ بِهِ فِيْمَا مَضَى مِنْ قَدِيْمِ الدَّهْرِ وَالعُصُرِ [2]

5 بِأَنَّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ جِبْرِيْلُ أَنَّكَ مَبْعُوثٌ إلى البَشَرِ [3]

= **المعنى :**

يقول : أتتني خديجة طالبة مني إخبارها عن حقيقة ما حدث مع محمد وليس لنا شيء من معرفة خفي الغيب .

(1) في السيرة الجامعة : « أمراً عظيماً » . وفي الروض الأنف : « حتى خديجة تدعوني لأخبرها أمراً أراه سيأتي » .

المفردات :

الأمر : واحد الأمور ، والأمر : الحادثة .

المعنى :

يقول : أتت خديجة تسألني عن أمر محمد ، فأخبرتها أن أمراً عظيماً سيأتي الناس في أواخر الزمن .

(2) في السيرة الجامعة : « الدهر والعمر » . وفي السيرة النبوية لابن كثير والبداية والنهاية : «وخبرتني بأمرٍ » .

المفردات :

العُصُر : الدهر .

المعنى :

يقول : لقد أخبرتني بأمر ، وهو أمر النبي المنتظر ، كنت قد سمعت عنه ، وذكرته الكتب القديمة .

(3) **المفردات :**

أحمد : محمد بن عبد الله الرسول صلوات الله عليه . وجبريل : اسم روح القدس ، عليه الصلاة والسلام . والمبعوث : المرسل ، وأراد من قبل ربّه .

المعنى :

يقول : أطلعتني خديجة على أمر محمد ، فعلمت أنه النبي المنتظر ، وقالت لي بأن جبريل أتاه وبشّره=

6 فَقُلْتُ عَلَّ الذِي تَرْجِيْنَ يُنْجِزُهُ ... لَكِ الإِلَهُ فَرَجِّي الخَيْرَ وَانْتَظِرِي[1]

7 وأَرْسِلِيْهِ إِلَيْنا كَيْ نُسَائِلَهُ ... عَنْ أَمْرِهِ مَا يَرَى فِي النَّوْمِ والسَّهَرِ[2]

8 فَقَالَ حِيْنَ أَتَانَا مَنْطِقاً عَجَباً ... يَقِفُّ مِنْهُ أَعَالِي الجِلْدِ والشَّعَرِ[3]

9 إِنِّي رَأَيْتُ أَمِيْنَ اللَّهِ وَاجَهَنِي ... فِي صُوْرَةٍ أُكْمِلَتْ مِنْ أَعْظَمِ الصُّوَرِ[4]

= بأنه مبعوث إلى البشر جميعاً .

(1) في الإصابة : « له الإله فرجّي » .

المفردات :

ترجين : تأملين . وينجزه : يقضيه .

المعنى :

يتابع الشاعر حديثه مع السيدة خديجة : فقلت لها : لعل هذا الأمر الذي ترجين حدوثه يقضه الله لك ، فترجي الله وانتظري أمره تعالى .

(2) المفردات :

نسائله : نسأله .

المعنى :

وقلت : أرسليه إلينا كي نسأله عن خبره ، وخبر ما يراه في منامه ، وما يحصل معه في يقظته وأرقه وسهره .

(3) في السيرة الجامعة : « يقف منه صحيح الجلد » .

المفردات :

في اللسان «قفف» : « وقفّ شعري ، أي : قام من الفزع . الفراء : قفّ جلده يقفّ قفوفاً ، يريد اقشعرّ » .

المعنى :

وحين جاءنا محمد ، أخبرنا حديثاً عجباً ، ارتعش له البدن واقشعر الجلد ، وارتعدت الأوصال .

(4) في السيرة الجامعة : « من أهيب الصور » . وفي الروض الأنف : « في أهيبِ الصور » . =

10 ثُمَّ اسْتَمَرَّ فَكَادَ الـخَوْفُ يذْعِرُنِي مِمَّا يُسَلِّمُ مَا حَـوْلِـي مِنَ الشَّجَرِ [1]

11 فَقُلْتُ ظَنِّي وَمَا أَدْرِي أَيَـصْـدُقُـنـي أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ يَتْلو مُنْزَلَ السُّوَرِ [2]

- **المفردات :**

أمين اللـه : جبريل عليه الصلاة والسلام . والمواجهة : المقابلة وجهاً لوجهٍ .

المعنى :

هذا الحديث العجيب كان في مواجهة جبريل عليه الصلاة لمحمد صلوات اللـه عليه وكـانت مواجهـة مهيبة رائعة ، تعدّ صورتها من أروع الصور .

(1) في السيرة الجامعة : « استمرّ وكاد الخوف .. من حولي من الشجر » . وفي الروض الأنف : «فكاد الخوف ... من حولي من الشجر » . وفي البداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير : « من حـولي من الشجر » .

المفردات :

يذعرني : يخيفني ويفزعني .

المعنى :

ويستمر ورقة في وصف مشهد المواجهة بين جبريل ومحمد عليهما السلام ، فيقول : وبقي جـبريل يكلمني ويسمعني والخوف يسري في جسدي ، ورأيـت العجـب حتى الشـجر قـد أخـذت تقـدم التحية .

(2) في السيرة الجامعة والروض الأنف : « تبعث تتلو منزل » .

المفردات :

الظن : يقين وشكٌ . ويبعث ، أي : يكون مبعوثاً لهذه الأمـة . ومـنزل السـور : أي : مـا يـنزل عليه من ربّه من السور والآيات .

المعنى :

فقلت يقيني ، وهل يصدقني يقيني ، وأرجو ذلك أنه سيكون نبياً تتـنزل عليـه السـور مـن ربه ويتلوها لقومه .

12 وَسوفَ أُبْليكَ إنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ مِنَ الجِهادِ بِلا مَنٍّ وَلاَ كَدَرِ [1]

* * *

(1) في البداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير : « وسوف يُبْلِيك » .

المفردات :

أبليك : أستخبرك فتخبرني . أعلنت : جاهرت . ومَنَّ عليه يمنّ منًّا : أحسن وأنعم ؛ ومَنَّ عليه وامْتَنَّ وتَمنَّنَ : قرّعه بِمِنَّةٍ . والكدر : نقيض الصفاء .

المعنى :

يقول : وسأستخبرك يا محمد فتخبرني بعد إعلان دعوتك والمجاهرة بها ، سأستخبرك عن الجهاد وحقيقته ، وستجدني مجاهداً في سبيل الله بلا مَنٍّ ولا كدر .

قافية العين

[8]

وقال ورقة[1] : [من منهوك الرجز]

1 يَـا لَـيْـتَـنِـي فِـيْـهـا جَـذَعْ[2]

2 أَخُـــبُّ فِــيْـــهــا وأَضَـــعْ[3]

* * *

---

(1) **التخريج :**

شطر الرجز الأول في لسان العرب «جذع» ، وتاج العروس «جذع» .

والشطران 1 - 2 بدون نسبة في تاج العروس «رجز» .

(2) **المفردات :**

الجذع : الشاب الفتي .

المعنى :

في اللسان «جذع» : « وقول ورقة بن نوفل في حديث المبعث : يا ليتني ... يعني في نبوة سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أي : ليتني أكون شاباً حين تظهر نبوته ، حتى أبالغ في نصرته » .

(3) **المفردات :**

خبّ الرجل : إذا سار الخبب ، وهو ضرب من العدو فيه خفّة . وأضع : أي أكفّ عن ذلك .

المعنى :

أراد ليتني أكون شاباً أجري الخبب في سبيل هذه الدعوة ، وأضع .

قافية القاف

[9]

وقال ورقة[1] : [من الكامل]

1 لا تَنْسَيَنَّ وَلاَ أَخَالَكَ نَاسِياً ... أَنَّ العَدَاوَةَ بَيْنَنا لَمْ تَخْلُقِ[2]

2 فإذا عَفَوتُ غَيرَ مُكَدِّرٍ ... وإذا انْتَقَمْتُ بَلَغْتُ رَنْقَ الْمُستَقِي[3]

* * *

---

(1) **التخريج :**

البيتان في كتاب الاختيارين ص258 .

(2) **المفردات :**

لم تخلق : أي ثابتة لم تبل .

المعنى :

يخاطب الشاعر عدواً له ، فيقول : لا تنسين ، ولا أحسبك ناسياً ، أن العداوة بيننا ما زالت قائمة لم تبل .

(3) **المفردات :**

المكدر : من الكدر ، وهو نقيض الصفاء . والرنق : الكدر .

المعنى :

في الاختيارين ص258 : « أي : إذا انتقمت بلغت أقصى ما يبلغ ، لم آخذِ الصفو وحده » .

قافية اللام

[10]

وقال ورقة[1] : [من الطويل]

1	فَإِنْ يَكُ حَقًّا يَا خَدِيْجَةُ فَاعْلَمِي	حَدِيثُكِ إِيَّانَا فَأَحْمَدُ مُرْسَلُ[2]
2	وَجِبْرِيْلُ يَأْتِيهِ وَمِيْكَالُ مَعْهُما	مِنَ اللَّهِ وَحْيٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ[3]

(1) **التخريج :**

الأبيات 1 - 7 في البداية والنهاية 11/3 ، والسيرة النبوية لابن كثير 400/1 .

والأبيات 1 - 6 في خزانة الأدب 366/3 ، وبلوغ الأرب 274/2 - 275 .

والأبيات 1 - 3 ، 5 - 6 في تاريخ الإسلام للذهبي ص133 .

(2) في تاريخ الإسلام للذهبي : « إن يك ... حديثك إيّاها » . وعلى هذه الرواية يكون قد دخل البيت خرم ، وهو حذف المتحرك الأول من الوتد المجموع .

وفي الخزانة وبلوغ الأرب : « وإن يك ... حديثك إياها » .

المفردات :

حقاً ، أي : حقاً ما تقولين . والحق : نقيض الباطل . والمرسل : المبعوث ، وأراد رسولاً مرسلاً من ربه .

المعنى :

يقول : إذا كان ما ذكرتيه يا خديجة عن أمرمحمداً حقًا ، فأبشري بأنه سيكون رسولاً مرسلاً من ربه لهذه الأمة .

(3) في الخزانة وبلوغ الأرب : « وميكال فاعلمي من الله » .

المفردات :

جبريل : اسم روح القدس ، عليه الصلاة والسلام . والوحي : ما يوحيه الله إلى أنبيائه . والوحي : -

3 يَـفُـوزُ بـهِ مَـنْ فَـازَ فِـيْـهـا بِـتَـوْبَـةٍ ... وَيَشْقَى بِها العَاتِي الغَرِيْرُ المُضَلَّلُ[1]

4 فَـرِيْـقَـانِ : مِنهُمْ فِـرْقَـةٌ في جِـنَـانِـهِ ... وأُخْرَى بِأَجْوازِ الـجَحِيْمِ تُـغَـلَّـلُ[2]

5 فَـسُـبْـحَـانَ مَنْ تَهْوِي الرِّيَاحُ بِأَمْرِهِ ... وَمَنْ هُوَ فِي الأَيَّـامِ مَا شَاءَ يَفْعَلُ[3]

- الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام . ومنزل : من ربّه .

المعنى :

يقول : يأتيه جبريل ومعه ميكائيل بالوحي من ربّه ، لتطيب نفسه ، وينشرح صدره بالحق .

(1) في السيرة النبوية لابن كثير وتاريخ الإسلام للذهبي وبلوغ الأرب : « العاني الغرير » .

المفردات :

فاز : من الفوز ، وهو الظفر بالخير والنجاة من الشرّ . والتوبة : الرجوع من الذنب . والعاتي : الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة . والغرير : الشاب الذي لا تجربة له .

المعنى :

يقول : سيظفر بالتوبة والخير ، من نجا من الضلال ، ويشقى بهذا الضلال الكافر الذي يتمرد ويفسد ويتبع الضلال ولا يتقبل الموعظة من أحد .

(2) في البداية والنهاية : « الجحيم تعلل » . وهو تصحيف . وفي السيرة النبوية لابن كثير : « بأحواز الجحيم » بالحاء المهملة .

المفردات :

الفرقة : الطائفة من الناس . وقوله : فرقة في جنانه ، أي : تنعم في جناته . والأجواز : الأوساط ، الواحد جوز . وتغلل : تدخل ، وأراد الفرقة الثانية التي تدخل الجحيم . والأحواز : بالحاء المهملة : جمع حوز ، وهو الناحية .

المعنى :

يقول : الناس هناك فريقان : أولهم ينعم بجنان الله ونعيمه ، وهو الذي فاز بالفلاح والخلود ، والفريق الثاني أدخل إلى جهنم ، وفيها يسلخ ويعذب .

(3) في البداية والنهاية : « يهوي الرياحَ » .

المفردات :

سبحان الله : معناه تنزيهاً لله من الصاحبة والولد ، وقيل : تنزيه الله تعالى عن كل ما لا =

6 وَمَنْ عَرْشُهُ فَوقَ السَّماوَاتِ كُلِّها وَأَقْضَاؤُهُ في خَلْقِهِ لاَ تَبَدَّلُ[1]

7 إذَا مَا دَعَوْا بِالوَيْلِ فِيْها تَتَابَعَتْ مَقَامِعُ فِي هَاماتِهِمْ ثُمَّ تُشْعَلُ[2]

* * *

= ينبغي له أن يوصف . وهوت الريح : هبت .

المعنى :

يقول : تنزيهاً لله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف به ، لا أقسم إلا به ، فهو الذي يفعل ما يشاء في خلقه ، وتهب الرياح بأمره وقدرته .

(1) المفردات :

العرش : سرير الملك . والعرش هنا مجلس الرحمن . وأقضاؤه : جمع قضاء ، وهو الحكم . ولا تبدل ، أي : لا تتبدل .

المعنى :

يستطرد الشاعر حديثه ، فيقول : والذي عرشه ومجلسه السماوات كلها وأحكامه في خلقه لا يمكن لها التبديل والتغيير .

(2) المفردات :

الويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب . والمقامع : الجرزة وأعمدة الحديد منه يضرب بها الرأس . قال تعالى : « ولهم مقامع من حديدٍ » . والهامات : جمع هامة ، وهي أعلى الرأس .

المعنى :

يقول : سيلاقي الكفار في جهنم العذاب ، وإذا استغاثوا من عذابهم ومشقتهم ، فستأتيهم مقامع تضرب رؤوسهم ، متأججة بالنار ، وكلما عادوا للاستغاثة زيدت أفواجها عليهم .

قافية الميم

[11]

جاء في كتاب أخبار مكة للأزرقي 174/1 - 175 : « واللَّقى : إنه لم يكن يطوف أحدٌ بالبيت إلا عرياناً ، إلا الحُمسُ ، فإنهم كانوا يطوفون بالبيت وعليهم الثياب ، وإذا ما طاف أحدٌ من غير الحمس في ثيابه ، وفرغ من الطواف جاء بثيابه التي طاف فيها فطرحها حول البيت ، فلا يمسّها أحدٌ، ولا يحركها حتى تبلى من وطء الأقدام ، ومن الشمس والرياح والمطر » .

وقال فيه ورقة(1) : [من الطويل]

1 كَفَى حَزَناً كَرِّي عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقًى بَينَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيْمُ(2)

---

(1) **التخريج :**

البيت في السيرة النبوية لابن كثير 284/1 ، وأخبار مكة للأزرقي 175/1 ، 182/1 . والبيت بدون نسبة في كتاب العين «حرم» ، ومقاييس اللغة 46/2 ، ومجمل اللغة 50/2 ، ولسان العرب «حرم» ، وتاج العروس «حرم» .

(2) **المفردات :**

الحزن : بتحريك الزاي : الحزن ، وهو نقيض الفرح . والكر : الرجوع يقال : كرّ عليه يكرُّ كرًّا: عطف . وفي اللسان «لقا» : « قال ابن الأثير : قيل أصل اللقى أنهم كانوا إذا طافوا خلعوا ثيابهم، وقالوا : لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها ، فيلقونها عنهم ، ويسمّون ذلك الثوب لَقًى ، فإذا قضوا نُسُكَهم لم يأخذوها وتركوها بحالها ملقاة » .

وفيه «حرم» : « والحريم : ما حُرّم فلم يُمَسَّ . والحريم : ما كان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه . قال : كفى حزناً كري ... » .

المعنى :

يكفيني حزناً رجوعي إليه وهو ملقى ، كأنه لَقًى من ثياب ألقاه المحرمون في نسكهم وطوافهم .

قافية الياء

[12]

جاء في السيرة النبوية لابن هشام في خروج زيد بن نفيل 231/1 - 232 :
«ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلّها ، ثم أقبل فجال الشام كلّه ، حتى انتهى إلى راهب بميفعة[1] من أرض البلقاء[2] كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفيّة دين إبراهيم .

فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبيّ يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفيّة ، فالحقْ بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه . وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئًا منها ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسّط بلاد لخم عَدَوا عليه فقتلوه ، فقال ورقة بن أسد يبكيه » .

وقال ورقة[3] : [من الطويل]

---

(1) الميفعة ، بفتح الميم : الأرض المرتفعة .

(2) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة . « انظر معجم البلدان : بلقاء » .

(3) **التخريج :**

الأبيات 1 - 10 في شعراء النصرانية ص617 - 618 .

والأبيات 1 - 2 ، 4 ، 6 - 10 في السيرة النبوية لابن كثير 164/1 .

والأبيات 1 - 6 في السيرة النبوية لابن هشام 232/1 ، وبلوغ الأرب 252/2 .

والبيتان 1 - 2 في المنتظم في تاريخ الأمم 330/2 .

1 رَشِـدْتَ وأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّما ... تَـجَـنَّـبْـتَ تَـنُّـوراً مِنَ النَّارِ حَامِيا[1]

2 بِـدِيْنِـكَ رَبّـاً لَـيْـسَ رَبٌّ كَـمِـثْـلِـهِ ... وَتَرْكِكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِي كَمَا هِيَا[2]

3 وَإِدْراكِكَ الدِّيْنَ الذي قَدْ طَـلَـبْـتَـهُ ... وَلَـمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيْدِ رَبِّـكَ سَاهِيا[3]

---

(1) **المفردات :**

رشدت ، أي : بالغت في الرشد ، كما يقال : أمعنت النظر وأنعمته . وابن عمرو : هو زيد ابن عمرو بن نفيل . وأراد بتنور من الله ، نار جهنم الحامية .

المعنى :

يقول ورقة في رثائه لزيد بن عمرو : لقد اهتديت ورشدت في عملك وفعلك ، وبذلك بعدت عن نار جهنم اللاهبة المحترقة ، ووقيت جسدك منها .

(2) في السيرة النبوية لابن كثير : « لدينك ربًّا ليس » . وفيه : « وتركك جنّانَ الجبال » . وفي المنتظم في تاريخ الأمم : « دعاءك ربًّا ليس » . وفي شعراء النصرانية : « وتركك جنّاتِ الجبال » .

المفردات :

الدين : الطاعة . وقد دِنْته ودِنْتُ له ، أي : أطعته . والطواغي : جمع طاغية ، وهو هنا الأصنام والأوثان ، وما عبد من دون الله . وجنات الجبال : جمع جنة ، وهي الحديقة ذات الشجر والنخل . وجنان الجبال : مثلها .

المعنى :

يقول : رشدت بطاعتك لربك الذي لا مثيل له ، وعبادتك له ، وإعراضك عن أصنام وأوثان أجدادك التي تعبد .

(3) **المفردات :**

أدرك الشيء : لحق به ووصل إليه . والتوحيد : الإيمان بالله وحده لا شريك له . والساهي: الغافل الناسي .

المعنى :

يقول : إن بلوغك مرادك في الوصول للدين الحنيف ، دين إبراهيم الذي كنت تبغيه ، لم يجعلك غافلاً عن توحيدك لربك وإيمانك بالله وحده لا شريك له ، بعيداً عن ديانة قومك الوثنية .

4 فَأَصْبَحْتَ في دَارٍ كَرِيمٍ مُقامُها تُعَلَّلُ فِيها بِالكَرامَةِ لاَهِيَا[1]

5 تُلاَقِي خَلِيلَ اللهِ فِيْها ولَمْ تَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَبَّاراً إلى النّارِ هَاوِيا[2]

6 وَقَدْ تُدْرِكُ الإنْسانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ سَبْعِيْنَ وَادِيا[3]

---

(1) المفردات :

الدار : الموضع الذي يحل به المرء . وأراد بدار كريم مقامها ، الجنة ، فهي دار البقاء ، والدنيا دار الزوال . وكريم مقامها ، أي : محمود . والمقام : موضوع الإقامة . وتعلل بالشيء : تشاغل به . والكرامة : اسم يوضع موضع الإكرام .

المعنى :

يقول : لقد انتقلت إلى دار عظيمة ، عظيم مقامها ، وأنت تهنئ بالكرامة ، تتشاغل بما فيها من محاسن وفضائل بلا همٍّ ، وما يعكر الصفو .

(2) المفردات :

خليل الله : الخليل : الصديق والصاحب . وخليل الله : أراد سيدنا إبراهيم الخليل ، سيد الموحدين . وفيها ، أي : في الجنة . والجبار : المتكبر . والهاوي : الساقط ، وأراد الساقط في النار.

المعنى :

يقول : ستلاقي في الدار الآخرة ، إبراهيم خليل الله ، سيد الموحدين ، لأنك لم تكن في دنياك متكبراً عن عبادة ربك ، كالمشركين الذين سيهوون في نار جهنم .

(3) في السيرة النبوية لابن كثير : « لتدركن المرء رحمة ربّه وإن كان » . وهو تصحيف لا يستقيم به الوزن .

المفردات :

أدرك الشيء : لحق به ووصل إليه .

وفي حاشية السيرة النبوية : « نصب ، سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة للنكرة ، كما قال:

فلو كنت في جب ثمانين قامة

وما يكون صفة للنكرة يكون حالاً من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بعدت تحت الأرض سبعين ؛ كما تقول : بعد طويلاً ، أي : بعداً طويلاً ، وإذا حذفت المصدر وأقمت الصفة مقامه ، لم تكن إلا حالاً » .

7 أَقُولُ إذا مَا زُرْتُ أَرْضاً مَخُوفَةَ حَنَانَيْكَ لاَ تُظْهِرْ عَلَيَّ الأَعادِيا[1]

8 حَنَانَيْكَ إِنَّ الجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ إِلهِي رَبَّنَا وَرَجَائنا[2]

9 أَدِيْنُ لِرَبٍّ يَسْتَجِيْبُ ولا أَرَى أَدِيْنُ لِمَنْ لاَ يَسْمَعُ الدَّهْرَ دَاعِيا[3]

- **المعنى :**

يقول : وقد تلحق الإنسان رحمة ومغفرة من ربّه ، ولو كان في أبعد أعماق الأرض .

(1) في السيرة النبوية لابن كثير : « إذا ما هبطت » . وهو تصحيف لا يستقيم معه الوزن .

المفردات :

زرت : نزلت وهبطت . وأرض مخافة : يخاف الناس النزول فيها . وحنانيك ، أي : رحمتك . ولا تظهر عليّ الأعاديا ، أي : لا تعنهم عليّ .

المعنى :

يقول : إذا ما نزلت في أرض يخاف الناس نزولها ويخشونه ، أقول لربي داعياً : حنانيك ورحمتك يا ربّي ارحمني ، ولا تعلي الأعداء عليّ .

(2) في السيرة النبوية لابن كثير : « الجن أنت رجاؤهم » . ونراه تصحيفاً لأن المعنى لا يستقيم .

المفردات :

الجن : نوع من العالم سمُّوا بذلك لا جتنانهم عن الأبصار ، ولأنهم استجنوا من الناس فلا يُرون . والرجاء : الأمل .

المعنى :

رحمتك يا ربّي ، ارحمني رحمة بعد رحمة ، فأنت إلهي ورجائي ، وكانت رجاء المشركين الجنُّ .

(3) في السيرة النبوية لابن كثير : « يستجيب وأرى » . وهو تصحيف لا يستقيم معه الوزن .

المفردات :

أدين لربٍّ ، أي : أخضع له وأذلّ بالطاعة له .

المعنى :

يقول : أدين لربٍّ وأخضع لإله ، عندما أدعوه ، يلبي دعوتي ويجيبني لطلبي ، فأنا مؤمن ، لا يمكن أن أدين لصنم أو وثن لا يستطيع أن يسمع من يدعوه وبالتالي لا يمكن له أن يلبي دعاء =

10 أَقُولُ إِذا صَلَّيْتَ فِي كُلِّ بِيْعَةٍ تَبارَكْتَ قَدْ أَكْثَرْتَ باسْمِكَ داعِيا[1]

* * *

- من يدعوه .

(1) **المفردات :**

في اللسان «بيع» : « والبيعة ، بالكسر : كنيسة النصارى ، وقيل : كنيسة اليهود ، والجمع بِيَعٌ ، وهو قوله تعالى : وبِيَعٌ وصلوات ومساجد » .

المعنى :

يقول : أقول لربي إذا صليت في الكنيسة ، تباركت ربّي لقد خلقت خلقاً كثيراً يدعون باسمك ويسبحون بحمدك .

الفهارس العامة



فهرس الآيات القرآنية الكريمة

سورة البقرة : 2

سورة آل عمران : 3

سورة النِّساء : 4

سورة المائدة : 5

قُلْ فمن يملكُ من اللّهِ شيئاً إن أراد أن يُهلك المسيح		
ابن مريم وأُمَّهُ *	17/5	27
* أَفَحُكمَ الجاهليَّةِ يَبغونَ ومَنْ أحسنُ مِن اللّهِ حُكْماً *	50/5	16
* إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصَّابئون والنَّصارى		
من آمن باللّـه *	69/5	39
* لقد كفر الذين قالوا إنَّ اللّـه ثالثُ ثلاثةٍ وما مِنْ		
إلهٍ إلاَّ إلهٌ واحدٌ *	73/5	16

سورة الأنعام : 6

* وإذ قال إبراهيمُ لأبيهِ آزر أتتخذُ أصناماً آلِهةً إنِّي		
أراك وقومك في ضلالٍ مُبين *	74/6	37
* فلمَّا رأى الشَّمسَ بازغةً قال هذا رَبِّي هذا أكبرُ		
فلمَّا أفلتْ قال يا قومي إنِّي بريءٌ مِمَّا تشركون *	78/6	38
* إنِّي وجهتُ وجهيَ للذي فَطرَ السَّموات والأرضَ حنيفاً *	79/6	35

سورة التوبة : 9

* وقالت اليهودُ عزيرٌ ابن اللّـه وقالت النَّصارى		
المسيحُ ابن اللّه *	30/9	27

سورة يونس : 10

* وأن أقم وَجهكَ للدِّين حنيفاً ولا تَكوننَّ مِن المُشرِكِيْن *	105/10	35

سورة الحجر : 15

* فاصدعْ بِما تُؤمر وأعرض عن المُشركين *	94/15	66

سورة النّحل : 16

* إنَّ إبراهيم كان أُمَّةً قانتاً للّهِ حَنيفاً ولَمْ يكُ مِنَ المُشركِين *	120/16	35

سورة الحج : 22

* إنَّ الذين آمنوا والذين هادُوا والصَّابئين والنّصارَى والمَجوسَ والذين أشْرَكوا إنَّ اللّه يفصلُ بينهم يومَ القيامةِ إنَّ اللّه على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ *	17/22	39
* حُنفاء للّهِ غيرَ مُشركينَ بِهِ ومَنْ يُشركْ باللّهِ فكأنّما خَرَّ مِن السَّماءِ *	31/22	35

سورة الرُّوم : 30

* فَأقِمْ وَجْهكَ للدِّين حَنِيفاً فطرتَ اللّـهِ التي فَطرَ النّاسَ عليها *	30/30	35

سورة لُقمان : 31

* ولئن سألتَهُمْ مَنْ خلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ اللّـهَ *	25/31	41

سورة الأحزاب : 33

* ولا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولَى *	33/33	16

سورة الصّافات : 37

سورة الزُّمر : 39

سورة الفتح : 48

سورة المدَّثّر : 74

سورة العَلق : 96

سورة البَيِّنة : 98

فهرس القوافي

مطلع القصيدة	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
رَحلتْ قُتيلةُ	النّوَى	الكامل	12	118 - 113
يعفو ويصفحُ	الغَضَبِ	البسيط	1	119
لَججتُ وكنتُ	النّشيجا	الوافر	13	124 - 120
أَتبكرُ أمْ أنتَ	قادِحُ	الطويل	16	130 - 125
لَقدْ نَصحتُ	أحدُ	البسيط	10	136 - 132
هَلَ اتَى ابنتَيْ	المَرصدِ	الكامل	3	138 - 137
يا للرِّجالِ وصرفِ	غِيَرِ	البسيط	12	143 - 139
يا لَيْتني	جذعْ	منهوك الرجز	2	144
لا تَنسينَّ ولا	تخلقِ	الكامل	2	145
فإنْ يكُ حقًّا	مُرسلُ	الطويل	7	148 - 146
كَفى حَزناً كرِّي	حريمُ	الطويل	1	149
رَشدتَ وأَنعمتَ	حامِيا	الطويل	10	154 - 151

فهرس اللغة

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس الأعلام

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس القبائل

حرف الشين

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف القاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

فهرس الأماكن

حرف الفاء

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

فهرس المصادر والمراجع

حرف الهمزة

* القرآن الكريم .

* الأوائل ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد المصري ووليد قصاب ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق 1975 .

* أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، أحمد حسن الباقوري ، دار المعارف ، مصر، ط3 ، 1983م .

* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، أبو الوليد محمد بن عبد اللّه بن أحمد الأزرقي ، تحقيق رشدي الصلح ملحسن ، دار الأندلس ، نبتور ، مدريد «إسبانيا» ، لاط ، لات .

* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، أبو الوليد محمد بن عبد اللّه بن أحمد الأزرقي ، تحقيق رشدي الصلح ملحسن ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1983 م .

* أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ، الأب جرجس داود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1981 م .

* أساس البلاغة ، الزمخشري ، جار اللّه محمود بن عمر ، مطبعة دار الكتب المصرية .

* أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، القاهرة ، 1280 هـ .

* الإسلام والحضارة ، محمد كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط3 ، 1968 م .

* الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1991 م .

* الإصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لاط ، لات .
* الأصنام ، ابن الكلبي ، تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 م .
« عن طبعة دار الكتب المصرية 1924 م » .
* أضواء على الحقيقة الصعبة ، أحمد علي حسن ، لاط ، 1991 م .
* الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط6 ، 1984 م .
* الأغاني ، الأصفهاني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1929 م .
* الأغاني ، الأصفهاني ، مؤسسة جمَّال للطباعة ، بيروت ، لاط ، لات . « عن طبعة دار الكتب المصرية » .
* الأغاني ، الأصفهاني ، نشر صلاح يوسف الخليل ، دار الفكر للجميع ، بيروت ، 1970 م . «عن طبعة بولاق الأصلية » .
* إلياذة هوميروس ، ترجمة سليمان البستاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لاط ، لات .
* إمتاع الأسماع بما للرَّسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ، للمقريزي ، صحّحه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، لاط ، 1941 م .
* أنساب الأشراف ، البلاذري ، تحقيق محمود الفردوس العظم ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، ط1 ، 1997 م .

حرف الباء

* البداية والنهاية ، الحافظ بن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لاط ، 1990 م .
* بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة ، تأليف الإمام العلامة برهان الدين البقاعي الشافعي . مخطوط .

* بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، السيد محمود شكري الألوسي البغدادي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لاط ، لات .

* بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، للإمام أبي عمر يوسف ابن عبد اللّه بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، تحقيق محمد مرسي الخوالي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لاط ، لات .

حرف التاء

* تاج العروس في شرح جواهر القاموس ، للمرتضى الزبيدي .

* تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، توزيع مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، لاط ، 1965 م .

* تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، حسن إبراهيم حسن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط7 ، 1964 م .

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1989 م .

* تاريخ الخلفاء ، الإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق إبراهيم صالح ، دار صادر، بيروت ، ط1 ، 1997 م .

* تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 1991 م .

* تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لاط ، لات .

* تاريخ العرب ، فيليب حتي ورفاقه ، دار غندور ، بيروت ، ط5 ، 1974 م .

* تاريخ العرب قبل الإسلام ، أحمد أرحيم هبو ، جامعة حلب ، كلية الآداب ، لاط ، 1980 م .

* التاريخ العربي القديم ، نلسن ديتلف وآخرون ، ترجمة فؤاد حسنين علي وزكي محمد حسن ، النهضة المصرية ، القاهرة ، لاط ، 1958 م .

* تاريخ الكعبة ، الخربوطلي علي حسني ، دار الجيل ، بيروت ، لاط ، 1976 م .

* التاريخ الوسيط ، قصة حضارة البداية والنهاية ، نورمان ف كانتور ، ترجمة وتعليق قاسم عبد قاسم ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1984 م .

* تاريخ اليعقوبي ، اليعقوبي بن واضح ، أحمد بن أبي يعقوب ، دار العراق ، بيروت ، لاط ، 1955م .

* التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي ، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1996 م .

* تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، البابي الحلبي ، لاط ، لات .

* تهذيب اللغة ، الأزهري ، تراثنا ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 م .

* تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي ، أسعد علي ، دار النعمان ، لبنان ، ط1 ، 1968 م .

حرف الجيم

* الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية ، خليل عبد الكريم ، دار سين للنشر ، ط1، 1990 م .

* جزيرة العرب قبل الإسلام ، برهان الدين دلو ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، 1989 م .

* جمهرة أنساب العرب ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط4 ، 1977 م .

حرف الحاء

* الحقيقة الصعبة في الميزان ، أحمد عمران ، دار النخبة العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1993 م .

* الحماسة للبحتري ، نقله وضبطه بالشكل الأب لويس شيخو اليسوعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1967 م .

* الحماسة البصرية ، صدر الدين علي بن الحسن البصري ، تحقيق مختار الدين أحمد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983 م .

* الحماسة المغربية ، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي ، حققه محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1991 م .

* حياة محمد ، محمد حسين هيكل ، مكتبة النهضة المصرية ، ط13 ، 1968 م .

* الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي ، مكتبة النوري بدمشق ، ط1 ، 1387 هـ / 1968 م .

حرف الخاء

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه محمد نبيل طريفي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418 هـ / 1998 م .

حرف الدال

* دراسات فنية في الأدب العربي ، عبد الكريم اليافي ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، لاط ، 1963م .

* دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، السيد عبد العزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، لاط ، لات .

* ديوان الأعشى ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لاط ، لات .

* ديوان أمية بن أبي الصّلت ، جمعه وحققه وشرحه سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998 م .

* ديوان دريد بن الصّمَّة ، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي ، قدّم له شاكر الفحّام ، دار قتيبة ، دمشق ، 1981 م .

* ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق حسين نصار ، مكتبة البابي ، مصر ، ط1 ، 1957 م .

* ديوان عبيد بن الأبرص ، دار بيروت ، لاط ، 1979 م .

* ديوان عنترة ، مكتبة كرم ، دمشق ، ودار الكتاب العربي ، بيروت ، ودار صعب وصادر ، بيروت ، لاط ، لات .

حرف الراء

* الروض الأنف ، للإمام الفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي ، طبع مطبعة الرحمانية بمصر ، 1332 هـ / 1914 م .

حرف السين

* سمط اللآلئ ، الوزير أبي عبيد البكري الأدني ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الحديث ، بيروت ، ط2 ، 1984 م .

* السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة ، الشيخ بن يوسف أطفيش ، بنفقة وعناية الفاضل الجليل الشيخ سالم بن سلطان بن قاسم الرياحي بزنجبار ، المطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ، ط2 ، 1344 هـ .

* السيرة الحلبية ، ابن برهان الحلبي ، شرحها وضبطها وعلّق عليها محمد التونجي ، دار المعرفة ، دمشق ، ط1 ، 1989 م .

* السيرة النبوية الشريفة ، الشيخ أحمد مغنيّة وصالح التاروتي ، دار الصفوة ، بيروت ، ط1 ، 1994 م .

* السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار الفكر ، بيروت، 1990 م .

* السيرة النبوية لابن هشام ، قدّم لها وعلّق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل ، بيروت ، طبعة جديدة مضبوطة منقّحة ، لاط ، 1975 م .

* السيرة النبوية لابن هشام ، حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، لاط، لات .

حرف الشين

* شرح أبيات سيبويه ، السيرافي ، يوسف بن أبي سعيد ، دار المأمون للتراث ، دمشق وبيروت ، 1979 م .

* شرح أرجوزة أبي نواس ، لابن جني ، محمد بهجة الأثري ، دمشق ، 1966 م .

* شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله الأزهري ، وبهامشه حاشية يس بن زين الدين ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، لاط ، لات .

* شرح المعلقات السبع للزوزني ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1972 م .

* شرح المفصل ، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، ومكتبة المتنبي ، القاهرة ، لاط ، لات .

* شعراء النصرانية قبل الإسلام ، لويس شيخو ، دار المشرق ، بيروت ، ط3 ، لات .

* الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق إحسان عباس ومحمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط4 ، 1400 هـ / 1980 م .

حرف الصاد

* صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 م .

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1420 هـ / 1999 م .

* صحيح البخاري ، البخاري ، المطبعة العثمانية المصرية ، كفر الزغاري ، شارع المستعلي بالله ، ط1 ، 1932 م .

حرف الطاء

* طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، لاط ، 1974 م .
* الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، تقديم إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لاط ، لات .

حرف العين

* العصر الجاهلي ، تأليف شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط7 ، لات .
* العقد الفريد ، أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربّه الأندلسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لاط ، 1983 م .
* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، للإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، حققه وفصله وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط5 ، 1401 هـ / 1981 م .
* عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ابن سيد النّاس ، مكتبة القدسي، القاهرة ، لاط ، 1356 هـ .

حرف الفاء

* فجر الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لاط ، 1969 م .
* الفكر الديني الجاهلي ، محمد إبراهيم الفيومي ، دار المعارف ، مصر ، لاط ، 1983 م .
* في الشعر الجاهلي ، طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1926 م .

حرف القاف

* قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، خليل عبد الكريم ، سينا للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1993 م .

* قس ونبي ، أبو موسى الحريري ، لاط ، 1979 م .
* قصة الديانات ، سليمان مظهر ، دار الرقي ، ط1 ، 1984 م .

حرف الكاف

* الكامل ، الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1993 م .
* الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، دار صادر ، بيروت ، لاط ، 1979 م .
* الكتاب المقدس ، أعمال الرسل .
* الكتاب ، سيبويه (عمرو بن عثمان) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1988 م .
* كتاب الاختيارين ، الأخفش الصغير ، تحقيق فخر الدين قباوة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1984 م .

حرف اللام

* لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1994 م .

حرف الميم

* مجتمع قريش السياسي والديني في عام الفيل ، عطا اللّه جوليان ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، لبنان ، ط1 ، 1987 م .
* محمد رسول اللّه ﷺ ، محمد رضا ، نشر مطبعة دار إحياء الكتب العربية المصرية، لاط ، لات .
* محمد رسول اللّه ﷺ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ط2 ، 1938 م .
* المحبر ، ابن حبيب ، اعتنى بتصحيحه ، إيلزة ليختن شتيتر ، بيروت ، لاط ، لات .
* المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، تحقيق الجندي

والنجار وشلبي ، القاهرة ، 1966 - 1969 م .

* مروج الذهب ، المسعودي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1965 م .

* المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد الإبشيهي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 م .

* مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، مصر ، لاط ، 1956 م .

* المعارف ، ابن قتيبة ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1969 م.

* معجم البلدان ، لابن ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، 1979 م .

* معجم العلوم الاجتماعية ، علي عبد الواحد الوافي ، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور ، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب ، والشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة « يونسكو » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1985 م .

* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد اللّه بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983 م .

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بحاشية المصحف الشريف ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1987 م ، وط2 ، 1988 م .

* المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بـ «الراغب الأصفهاني» ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، 1961 م .

* المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1978 م .

* المقاصد النحوية في شرح شواهد شرح الألفية ، محمود بن أحمد العيني ، مطبوع على هامش خزانة الأدب ، دار صادر ، لاط ، لات .

* المقتضب ، المبرد بن يزيد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ،

بيروت ، لاط ، لات .

* الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، منشورات مؤسسة الحلبي وشركاه ، القاهرة ، 1968 م .

* المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1992 م .

حرف النون

* النّزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، حسين مروة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط6 ، 1988 م .

* نسب قريش ، لأبي عبد اللّه المصعب بن عبد اللّه بن المصعب الزبيري ، دار المعارف ، مصر ، لاط ، 1953 م .

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لاط ، 1988 م .

* نهاية الأرب في فنون الأدب ، النويري ، دار الكتب ، مصر ، لاط ، لات .

حرف الواو

* الوثنية في الأدب الجاهلي ، عبد الغني زيتوني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ط1 ، 1987 م .

* الوحشيات ، لأبي تمام ، علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف ، مصر ، 1963 م .

حرف الياء

* اليهود في تاريخ الحضارة الأولى ، غوستاف لوبان ، ترجمة عادل زعيتر ، البابي الحلبي ، مصر ، لاط ، 1970 م .

فهرس المحتويات